كاشف حجب الأستار
عن وجه رموز سلم الإظهار

للعالم العامل والولي الكامل
شيخنا الشيخ سَعدِ أبيه بن شيخِنا الشَّيخ محمد فاضل

تحقيق الباحث:

الشيخ سعدبوه الشيخ عَبداتي

الطبعة الأولى 2023

دار قوافل للنشر
قوافل

الكتاب:	كاشف حجب الأستار عن وجه رُموز سُلم الإظهار للعالم العامل والولي الكامل لشيخنا الشيخ سَعدِ أبيه بن شيخِنا الشَّيخ محمد فاضل (ت 1335هـ/ 1917م) تحقيق الباحث: الشيخ سعدبوه الشيخ عَبداتي
الناشر:	**دار قوافل للنشر (انواكشوط - موريتانيا)**
الهاتف:	**(00222)37030207**
الواتساب:	**(00222)20204488**
صندوق البريد:	**40007**
الإيميل:	ghewavil77@gmail.com

الطبعة الأولى

1444هـ / 2023م

طبع على نفقة الناطق الرسمي باسم الطريقة القادرية الفاضلية في غرب إفريقيا

الطالب بوي ولد الشيخ آياه

فهرس المحتويات

ترجمة العلامة محمد مولود بن أغشممت..... 7
ترجمة الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين..... 13
دراسة الكتاب..... 59
الكتاب محققا 73

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه، وبعد:

إن المعيار الحضاري الأبرز الذي يعكس درجة وعي أمة من الأمم ويبين الآفاق المفتوحة أمام رُقيِّها، هو الاعتناء التام بتاريخها ومجدها، وجعْل هذا المجد هو الأساس الذي يبنى عليه غيره، وفي طليعة هذا المجد التراث العلمي للأعلام؛ إذ هو الخزَّان الذي حفظ لنا تعاليم أولئك الأعلام من الضياع والنسيان، وجعلها جاهزة لاستمداد روح الإبداع والتجديد.

ومن هذا المنطلق بدأت موريتانيا تشهدا إقبالا كبيرا على إخراج تراث أسلافها للعالَم من خلال الجمع والتحقيق والطبع، لتقول بلسان واضح إن من كانوا يعيشون على هذه الأرض شكلوا حضارة علمية رصينة صمدت بكل صلابة أمام عاتيات الزمن، وتأقلمت مع شق المعيشة.

وفي هذا المنحى وبوصفي أحد أبناء الطريقة القادرية الفاضلية جعلتُ على عاتقي خدمة تراث هذا البلد عامة، وتراث هذه الطريقة بشكل أخص، وذلك بحكم اطلاعي على أغلب المصادر والمراجع لهذه الطريقة، مما جعلني مسؤولا عن حفظ هذا التراث، حتى طلب مني

الأخ الفاضل الناطق الرسمي للطريقة القادرية الفاضلية في غرب إفريقيا الطالب بوي بن الشيخ آياه بن الشيخ الطالب بوي، نجل الخليفة العام للطريقة القادرية، وبتنسيق من رابطة شباب النمجاط العمل على تحقيق كتاب كاشف حجب الأستار في شرح سلم الإظهار، وهو كتاب علمي جمع بين الفقه والتصوف، والحقيقة والشريعة، وبعض الموضوعات من فنون أخرى من تأليف الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين المتوفى 1335هـ.

وقد تصديت لهذه المهمة الشريفة التي عشت فيها أياما بين رفوف المكتبات مستفيدا من الدرر العلمية والفوائد الوهبية التي مُنحها هذا العالم الفقيه الأصولي الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل، الذي أبان في هذا الكتاب عن رسوخ قدمه في كل العلوم وخاصة علم الفقه الواقعي، كما بين في هذا الكتاب منهج النظر الفقهي عند الفاضلية، وهو منهج يتسم بالوقوف على ما حده الشارع وعدم إحراج المؤمن في دينه، وقد كان الشيخ محمد فاضل بن مامين يقرر في فتاويه قوله: "المؤمن لا يسد عليه باب"، تلك النظرية التي عرفت تجسيدا في كتب ونوازل الفاضلية بدءًا من الشيخ محمد فاضل نفسه حيث خصص العلامة محمد فاضل بن الحبيب في كتابه الضياء المستبين في كرامات شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين، فصلا في توسيعات الشيخ وأنه لم يكن يرى حرجا في العمل بغير المشهور والذي يدل عليه الدليل ويكون

للمؤمن التقي في حاجة إليه، وقد سار على هذا المنهج أعلام الفاضلية، وهذا الكتاب الذي نحن في صدده امتداد لهذه النظرية المقاصدية الواقعية.

وقد اخترت أن أقسم العمل إلى فصلين: الفصل الأول يتعلق بدارسة الكتاب حيث خصصت المبحث الأول للتعريف بالعلامة الكبير الفقيه المحرر الداعية إلى الله تعالى محمد مولود بن أغشممت، وهو صاحب النظم، ثم مبحثا ثانيا للتعريف بالمؤلف الشارح تعريفا شاملا، وهو الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل، ثم المبحث الثالث جعلته للحديث عن الكتاب وأهم فوائده والقيمة العلمية التي أضافها.

أما الفصل الثاني فهو تحقيق الكتاب الذي يمكن أن نقسمه من حيث موضوعه إلى قسمين: قسم علمي يعنى بشرح المادة العلمية في النظم، وقد خرَّجت جميع تلك الأحاديث الإخراج العلمي المطلوب عند أهل الحديث، ثم خرجت ما أمكنني من إخراج النصوص المنسوبة لأهل العلم، وترجمت لهم ترجمة مركزة على ذكر تآليفهم، والقسم الثاني كان حول أحداث تاريخية وسرد أخبار تأسيس مدن تاريخية ومحطات مهمة من حياة المؤلف، وبما أن المادة العلمية لهذه الموضوعات من ابتكار الشيخ سعد أبيه نفسه لم أملأ الهامش توفيرا لوقت القارئ.

الفصل الأول دراسة حول الكتاب
وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: التعريف بالعلامة محمد مولود بن أغشممت

الثاني: التعريف بالشيخ سعدأبيه

الثالث: دراسة حول الكتاب

ترجمة العلامة محمد مولود بن أغشممت

هو العالم الكبير الفقيه المحقق واللغوي المدقق صاحب الأنظام الرائقة الشيخ محمد مولود بن أغشممت، رحمه الله، وسوف نقتصر على ترجمته التي وردت في موسوعة الأزهار الندية بأخبار وتراجم أعلام المجلسية حيث قال فيها:

أما محمد مولود بن محمد بن أغشممت، فكان عالما فاضلا مؤلفا جليلا، ومدرسا نبيلا، مشارا إليه في بلده وجيله ملحوظا بعين التعظيم، ورأيت بخط ابنه محمد عبد الله المعروف بـ "أباه" في نقلة ترجمه فيها مع أخيه محمد عثمان أنه أي: محمد مولود كان عالما ناسكا فاضلا، ذا منطق طلق، ولسان ذلق، زاهدا متواضعا مع أخلاق سنية ونفس أبية، تضلع من العلم في عنفوان شبابه إلى أن صار وحيد زمانه، وقال: أخبرني أنه قرأ على أبيه خلاصة ابن مالك، وكافيته، وحفظهما، وذهب إلى نحوي زمانه عبد الودود بن عبد الل الألفغي الحيبي يقرأ عليه يوما واحدا، وقال له: أنت لا تحتاج إلى هذا، ولكن احضر مجلس الدرس، فكان يحضره، وحين ينتهي تتنافس الطلبة في تدريسه، فكان له اليد الطولى في كل فن، وأحرى علم الكلام؛ لأنه قرأه على أبيه، وكان منفردا به في قُطره، فهو من بيت علم تعد له سبعة أجداد قضاة من جهة أبيه وأمه قال فيهم الشيخ محمد فال بن باب العلوي:

ولـم يـك بـدعا ذاك فيـه فقومـه من العلم قد حازوا طريقا ومتلدا

فكـان لهـم قـدما صـدور مجـالس يتــابع مولــود علــى الحــق والــدا

وقد ترجم له صاحب الوسيط ترجمة يستفاد منها: أن أغشممت ليس اسم والده بل لقب له، حيث كان يعرف بامرابط أغشممت، وأن أغشممت اسم منهل عرف به إذ كان يألفه، ثم ذكر بعض إنتاجاته العلمية.[1]

مؤلفات محمد مولود:

اتسمت مؤلفاته بالجودة والإتقان في التحرير، كما تميزت بالإبداع والواقعية، فكانت تعنى مؤلفاته بالمسائل العلمية التي تعني المسلمين في قطره وزمنه، ومؤلفاته هي:

1- الديوان

2- شرح وسيلة السعادة لابن بونه

3- عقيدة

4- شرح العقيدة

5- سلم الإظهار في الفرق بين الليل والنهار، تعليق كتبه العلامة مولود آد عليه، وكان عبارة عن شرح للمؤلف مشافهة

[1] الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك؛ المؤلف: أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي (المتوفى: 1331هـ)؛ عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف؛ الناشر: الشركة الدولية للطباعة – مصر، الطبعة: الخامسة، 1422هـ - 2002 م؛ عدد الأجزاء: 1 ص:354

6- سُلم القضاة في نوازل الرعاة نظم

8- ما علم من الدين بالضرورة نظم أبنية الكعبة المشرفة 35 بيت

9- أنظام

10- فتاوى

11- رسائل

12- النصيحة

13- نظم في الصداق

14- نظم في التهمة وغيرها من المسائل الفقهية، 114 بيت

15- نظم في الفقه 260 بيت

16- منظومة في مخارج الحروف وصفاتها

17- تعليق على منظومة في مخارج الحروف وصفاتها

18- كشف الحجاب عن مسألة اجتماع النهي والثواب.

19- فتح المجيد في نازلة أحمد بزيد

20- وصية.[2]

ذريته:

ولمحمد مولود بن محمد بن أغشممت من غاليةً، بالتنوين والفتح، بنت السيد مولود فال بن محمذن فال بن ألمين الموسوية محمد عبد الله، وعيشة، وفاطم فال، وله من سكينه بنت السيد مولود فال: غالية باسم خالتها المتقدمة الذكر، أما عيشة بنت محمد مولود، فهي أم محمد سالم بن المختار بن محمد فال بن سيد أحمد بن أغشممت، وهي أيضا أم بعض عيال محمد يحي بن حبيب الله بن المختار أغشممت، وأما فاطم فال بنت محمد مولود فهي أم مريم بنت محمد سالم بن بدياه، وأما غالية بنت محمد مولود، فهي أم عيال محمد الغوث بن عبد الله بن محمد بن أغشممت.[3]

شعره

امتاز شعره، رحمه الله، برقة الأسلوب، ودقة المعاني، وتأسر عباراته التي يلحظ بها المعاني ألباب أهل القرائح اليقظة، وعلى سبيل المثال من بين شعره، كما ذكره صاحب الموسوعة:

ألا بمـــديح الهاشـــمي الرتـــائج تصـير إلـى فـتح وتقضـى الحـوائج

2 موسوعة تراث أهل الصحراء الكبرى، معجم المؤَلفات والمؤلفين في القطر الشنقيطي وجواره، تأليف الأستاذ الباحث ألب ازيد بيه مرقون.

3 موسوعة الأزهار في أخبار وتراجم أعلام المجلسية ج/3 ص/579.

وإن بـارت الأسـواق بعـد نفاقهـا فأســواق أمــداح النبــي روائــج
به فأقرعن بـاب المهيمن إن تـرد ولوجــا فــإن تفعــل فإنــك والــج
وإن رمـت أمـراً فاتخـذه معارجـا تنلــه يســيراً إن جفتــك المعــارج
هــو الغــوث والغيــث المؤمــل إذا ما الورى انباحت عليهم بوائج
فأمداحـه حسـبي مـن الهـم قارعـا بهـا بـاب مـن للهـم والكـرب فـارج
فكم معسر وافاه في حـال عسره فلبــاه إيســار عــن القــيس خــارج
وكـم ذي همـوم لاعجـات بـه غدا فأضـحت سـرورا الهمـوم اللـواعج
إلــى الله مــدح الهاشــمي محمــد وإن كسـدت أسـواق "أنـدر" رائـج
عليــه صــلاة الله مــا فتحــت بــه لمســـتفتح أبـــوابهن الرتـــائج

وله في البكاء تذكر عهد شيخه محمد بن محمد سالم المجلسي، والإشادة بمؤلفاته:

جرى الدمع من عين المحب على النحر ونار فراق الشيخ شبت على السحر
ألا عجبا لما امتطي من عجائب تحار به الأفكار في موقف الفكر
لوامـــع در طافيـــات علـــى بحـــر فرات وريان على نهر يجري
هل السحر هذا؟ لا بل الحق فاعجبوا بدر على بحر وبحر على بحر

وله في حضرة العالم العارف بالله الشيخ محمذن فال بن متالي نفعنا الله ببركته، قصائد حسان في مدحه وذكر مناقبه المنيفة؛ فمن ذلك قصيدته التي مطلعها:

يا دار سلمى بذات الرمث حياك وإنَ ذا لقليـــل فيـــك مـــولاك
أسقيك من عبرتي ما قد يضن به إن ضن ماء السماء بخلا سقياك
مــا ذا عليــك إذ أبكــي لســقياك أن ترحمـي بجـواب عبـرة البـاكي

إلى أن قال متخلصا:

واندب ذنوبا مضت وأعصرا سلفت ... في اللهو قلت لها فالله يرعاك
هل من تلافي ذنابا ما اشرت له ... وهل لما فات يا لهفي من اَدراك
قالت: فلستُ أرى لداء مثلك من ... آس سوى نجل متالي الرضي الزاكي
من نال عن خير رسل الله قاطبة ... مناقبا لا يفي بسردها الحاكي
جالي القلوب إذ مرآتها كسيت ... رين الذنوب ومشكي شكية الشاكي
مأوى الطريد الضريك إن تياسره ... من بين أصحابه أصحاب إدراك
يا نفس قد حان إلقاء الزمام إلى ... شيخ الشيوخ ومأوى المشتكي الباكي
ولا تعاصيه في أمر دعاك له ... تلك المصيبة لا فقدان سلماك
واسعي نهارا وليلا في مآربه ... ستحمدين إذا أصبحت مسراك
واخشي موالاة من عاداه عن عمه ... والحمد لله إذ من ذاك نجاك.

المبحث الثاني:
ترجمة الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين

سنترجم للشيخ سعد أبيه من خلال العناوين التالية:

أولا: اسمه ونسبه

ثانيا: محل وتاريخ ميلاده

ثالثا: أسرته ونشأته

رابعا: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته

خامسا: مذهبه الفقهي والعقدي وطريقته الصوفية

سادسا: آثاره

سابعا: وفاته وثناء العلماء عليه

أولا: اسمه ونسبه:

اسمه: اسمه هو الشيخ سعد أبيه، كما نص على ذلك بنفسه في مؤلفاته التي كان يستفتحها بقوله: "قال سعد أبيه "، وباللغة العامية في موريتانيا يسمى بـ " سعد بوه"، وقد أطلقه عليه والده كما في الأسنة النافذة حيث قال: "إنه قيل لك في بنيي كذا كذا سعد بوه".[4]

وجاء في الضياء المستبين تسميته بـ "سعد" في موضعين هما: "فلقد رأيت سيد عثمان حمل سعدا على رقبته، وهو صغير في رحيل طويل، ولم يرض أن يجعله خلفه"[5]، وهذا النص يوثق الصلة الوثيق بين الشيخ سعد أبيه وأخيه الأكبر الشيخ سيدي عثمان الملقب بالشيخ الخليفة، كما يوثق أن العلاقة بين أبناء الشيخ محمد فاضل كانت علاقة روحية، مبناها أن ابن الشيخ كهو.

والنص الثاني هو: "ولقد شاهدت في محمد الحطاب وسعد من الكشف ما لا أكاد أذكره، ولا أستطيع نشره، وشاهدت فيهما من الوهب غاية لا يدرك مداها، ولا يبلغ أعلاها"، وهذا النص يوثق أن علامات الصلاح والاجتباء من كشف ووهب وغيرهما من صفات أرباب العناية، عُرف بها الشيخ سعد أبيه منذ نعومة أظافره.

---

4 الأسنة النافذة في رد البيعة الحادثة، مخطوط بحوزتي نسخة منه

5 الضياء المستبين في كرامات شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين؛ مخطوط بحوزتي نسخة منه ص: 253.

النص الثالث هو: "حدثني بهذا سعد بن شيخنا عمن حضر القصة من أولها إلى آخرها"، وهذا النص عقب سرد كرامة من كرامات شيخنا الشيخ محمد فاضل، قصها الشيخ سعد أبيه على العلامة محمد فاضل بن الحبيب.

كما لقب نفسه بهذا الاسم كما في نظمه الذي يقول فيه:

قال أبو عبد العزيز سعدُ أحمَدُ من له العلى والحمدُ
حمداً لمن لديه علم السابقه والوقت والفناء ثم اللاحقه[6]

كما نجد الشيخ سعد أبيه في كتابه الأسنة النافذة، ينص على أن اسمه في العالم العلوي هو المختار، قال: "ومن بعد هذه الرؤيا هتف هاتف على سميّ الشيخ مريد بن لحبيب بأن حاجتي قضيت، وبأني سميت في العالم العلوي بالمختار"[7].

نسبه: ينتمي الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل إلى آل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن طريق انتسابه للسادة القلاقمة أحد أشهر فروع الأدارسة في الصحراء الكبرى وموريتانيا بشكل أخص، وقد اعتنى الشيخ سعد أبيه بنسبه فكتب فيه ونظم سلسلته إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما خصص عدة أبيات شعرية في إظهاره والمنافحة عنه.

---

6 ديوان الشيخ سعد أبيه، ص 58.

7 الأسنة النافذة مصدر سابق: 5.

وسلسلته أنه الشيخ: سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن الشيخ محمد الأمين الملقب بـ: مامين بن الطالب اخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار بن الطالب الحبيب بن الطالب اعلي بن سيدي محمد بن سيدي يحيى الصغير بن سيدي عالي بن شمس الدين بن يحيى الكبير القلقمي بن سيدي محمد بن سيدي عثمان بن مولاي أبو بكر بن سيدي يحي بن عبد الرحمن بن أران بن أتلان بن أجملان بن مولاي إبراهيم بن مولاي مسعود بن عيسى بن مولاي عثمان بن مولاي إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن عمر بن يحي بن عبد الله بن أحمد بن إدريس بن إرديس الأكبر بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي، كرم الله وجهه، وأمه فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

هذه هي السلسلة التي أوردها الشيخ سعد أبيه في كتابه نبراس المعنى في شرح الغامض من أسماء الله الحسنى،[8] ونظمه نسبه في نظم مشهور توسل فيه بآبائه؛ يقول:

ياربنـــا بشـــيخنا الفضـــيل	فوالنـــا بفضـــلك الجزيـــل
وبجـــدود شـــيخنا المكـــين	فخُصـــنا بقـــوة اليقـــين
بشـــيخه محمـــد الأمـــين	قـــوِّ بنـــا أســـاسَ هـــذا الـــدين
بالطالـب اخيـار الـولي الحبـر	عـــلِّ مقـــاميَ وعـــل قـــدري

8 نبراس المعنى في شرح الغامض من اسماء الله الحسنى، نسخة مرقونة ص 26.

وبمحمـــــد أبيـــــه الطالـــــب لعزّنـــا بغلـــبِ كـــلِّ غالـــب
باجيـــه ذي العلـــوم والإنفـــاق صـــفّ قلوبَنَـــا مـــن النفـــاق
بالطالـب الحبيـب خيـر الأوليـا نـــوّر بســـر عظمـــوت ســـرّيا
بالطالـب اعلـي خيـر مـن تقدما كـن لـي نصـيراً حافظـا مقـدما
بســـيدي محمـــد وســـيّدي يحـــى قنـــا كـــل ظلـــوم جلعـــدِ
بسيدي عـالي مـعْ شمس الـدِّين يحـــى الكبيـــر القلقمـــي الأمـــين
بهـذه الـثلاث فـاقضِ حـاجي وحاجـــة الأتبـــاعِ للمنهـــاجِ
بســـيدي محمـــد وســـيّدي عثمـــان بـــالأولاد قـــوّم أوَدي
مـولاي أبـو بكـر وسيدي يحيـى شـرّد لمـن يبغـي علـيَّ بغيـا
بعابـــد الـــرحمن مـــعْ أران أتـــلانِ مـــع أبيـــه أجمـــلانِ
مـولاي مسـعودٍ وجـاه عيسـى قنـا هـوى النفـوس مـع إبليسـا
مـولاي عثمـان مـع إسـماعيلا فبـــدِّل الـــذنوب لـــي تبـــديلا
بعابـد الوهـاب نجـل يوسـف نـــجِ قلوبنـــا مـــع التأســـف
بعمـــــر وبأبيـــــه يحيـــــى قليبـــي ذا بعـد الممـات يحيـى
بعبـــــد الله أبيـــــه أحمـــــدِ اجعـل ذنـوبيَ كجفـاء الزبـد
إدريـــس مـــع ســـميّه أبيـــه يـــومَ يفـــرُّ المـــرءُ مـــن أخيـــهِ
بســـيدي عبـــد الإلـــه الكامـــل والحســـن المثنـــى ذاك الفاضـــل
كمِّـــل لنـــا بجـــاههم والحسَـــنِ ســـبط رســـول الله كـــل الحســـن
صـلى عليـه الله مـا تـم الحسَـن بجاهِ أهل الفضل من بني الحَسن
بســـيّدي أبـــيهمُ العلـــي علـــي كمـــل لنـــا مرادَنـــا بالأفضـــلِ
واخـــتم خـــواتم الإحســـان بخـــاتم الرســـل وبالإيمـــان

صـلى عليـه الله مـا السُؤْل جمُـلْ مـع السـلامِ مـا الـدُّعا بهـم كمُـل

هذه السلسة المباركة نفعنا الله بها متوافقة مع التي أوردها ابن الحبيب في الضياء المستبين، وأوردها أيضا العلامة العارف بالله الشيخ محمد بن فاضل بن اعبيدي في نظمه الذي تسول فيه بأجداده، وغير ممن كتب في سلسلة الأجداد من هذه الطبقة، باستثناء الشيخ ماء العينين الذي عدّل ما بين عبد الله بن أحمد إلى إدريس حيث جعل حلقتين من السلسلة قد فقدتا، وهما كل من:

ـــ يحيى بن القاسم

ـــ القاسم بن إدريس

قال الشيخ ماء العينين في سينيته التي نظم فيها آباءه:

فـإدريس مـعْ إدريـس فالقاسـمُ فيحيى فمولاي أحمد الأصل للأسِ

فتكون السلسلة على النحو التالي عبد الله بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس؛ وقد رجح كثير من العلماء ما صححه الشيخ ماء العينين بناء على أنه موافق لأغلب سلاسل الأدارسة بالمغرب البلد الذي تبوأ فيه الشيخ ماء العينين مكانا عليا خوله مراجعة السلاسل،

ولقاء كبار الشرفاء؛ مما جعل العلامة الشيخ الطالب اخيار بن الشيخ ماميناً يرجع ما وقع للنسخ أنه وقع سقوط أثناء كتابة النساخ.[9]

إذن فنسب الشيخ سعد أبيه كما رأينا يرجع للسادة القلاقمة أحد أشهر فروع شرفاء الأدارسة بالمنطقة، وقد شهد بشرفهم علماء المنطقة كالعلامة الشيخ سيدي المختار الكنتي، [10] والشيخ سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم[11]، وأيدة الجكني،[12] الطالب أحمد ولد اطـوير الجنة الايدوالحاجي، الوداني، وابن حبت العالم الكبير الغلاوي،

9 الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي، للعلامة الشيخ الطالب خيار، منشورات مؤسسة الشيخ امربيه ربه للتبادل الثقافي الطبعة الثانية ج/1 ص20.

10 يقول العلامة الشيخ محمد فاضل بن اعبيدي مفتخرا بنسبه، عازيا للعلامة الشيخ سيدي المختار الكنتي حيث أثبت صحة انتساب القلاقمة للأدارسة، وهذا الكتاب للأسف ما يزال مفقودا أو بحكم الندرة والعزو له كثير:

بحمد الله فاطمة أصيلي من الحسن المثنى لا وقوف

من آل اجيه إن حاولت فرعا قلاقم هامة وهم السقوف

إذا ما القوم قد شهدوا علينا فما للشيخ من كتب تطوف

أليس لهم علوم الشيخ لما تحقق أننا نجل شريف

11 في كتابه الروض على أنساب الحوض.

12 كتاب لا يزال مخطوطا وهو في عِداد المفقود للأسف الشديد.

والصالح الشهير الغلاوي البكري احمد ابن البشير دفين اشريريك، باب بن الشيخ سيديا، وغيرهم[13].

وقد نافح الشيخ سعد أبيه في غير ما مرة عن هذا النسب من ذلك قوله:

يا منكرا نسبتنا إلى الرسول لتتئد واصغ ولا تكن جهول
قد عارضت قولك صحاح النقول وأبطلت له قرائن العقول
فإننا أبناء فاطم البتول والحال شاهد وهو من العدول
نور النبوءة علينا لا يزول توارثت له فحول عن فحول[14]

ويقول أيضا:

عندي ثلاثٌ هنَّ لي رجاءُ وغيرُها من عملي هباءُ
إيماني بالله وبالرسول ونسبتي لبنته البتول
وأن والدي يقيناً صالحُ وأن إيماني صحيحٌ واضحُ[15]

ويقول أيضا:

أراني عبيد الله جل جلاله ولا لي فخرٌ غيرَ أني عبيدُه
وأني بحمد الله نجل لشيخنا ويكفي من قرب الله أني مريده
وأن رسول الله جدي حقيقة وأيُّ افتخارٍ بعد هذا أريده؟

13 سلسلة الشرف والمجد والآثار في صحة شرف آل الجيه المختار، للعلامة الشيخ محمد المامون بن الشيخ سعدبوه، نسخة مرقونه، ص 10

14 ديوان الشيخ سعد أبيه، ص 27.

15 نفس المصدر 180.

إلى آخر ذلك.

ثانيا: تاريخ ومحل ميلاده

- تاريخ الميلاد

ولد الشيخ سعد أبيه سنة 1268.

ثالثا: أسرته ونشأته:

- أمه "مريم بنت أحد الولي بن عبدي بن يفلج بن محمد بن خليل بن عيسى بن أدهس، وهو أخو أبيير، وهما أبناء عبد اللا بن بركن القرشي الهاشمي"16.

جزى الله بالإحسان أمي فإنـــها أتت بي من شيخ له العز والفضـــل
ولي مرب لا يجارى عنـــــاية وفضلا وما في الكون قطعا له عدل
وبالفوز والرضوان يجزي لوالدي كما اختار لي أما لها الحلم والبـــذل
كريمة أصل لا تزن بريبـــــــة كما ساد أصل البعل ساد لها الأصل[7]

أما أسرته الشيخ فقد تزوج تسعة وتسعين امرأة نظمهن بالتفصيل الشيخ أتقانا بن الوالد في نظم له سماهُ سجل العارفين قال فيه:

وقـــــــيل إنه بضاد و بطا دخل والشرع امـــــــــتطى

وقد خلف من هؤلاء النسوة الأبناء التالية أسماءهم

---

16 نبراس المعنى ص 27.

17 ديوان شيخنا الشيخ سعد أبيه ص: 243.

الاسم:	الأم:
الشيخ سيدي بوي الملقب بـ: الشيخ الخليلفة	أم رمان منت أحمل ما
الشيخ محمد تقي الله الملقب بـ: أتقانا	بنت خير بنت أحميد
الشيخ الحضرامي	بنت خير بنت أحميد
الشيخ سيدي القوم الملقب بـ: سيداتي	فاطمة منت أحمد ولد بوبو
الشيخ محمد الأمين الملقب بـ: الولي	بنت خير بنت أحميد
الشيخ محمد الحسن الملقب بـ: المحفوظ	خدجة منت أسلامة
الشيخ محمد فاضل ـ توفي صغيرا ـ	خدجة منت أسلامة
الشيخ محمد ماء العينين	فاطمة الصغرى الملقبة بـ: أباه بنت البار
الشيخ الطالب بوي	فاطمة منت أحمد بوبو
الشيخ محمد فاضل الملقب بـ: بونن	السالمة منت الحسن

أما بناته فهن:

الاسم	الأم
سهلة	سكينة منت أحمد ولد عليين
نفيسة	فاطمة منت أحمد بوبو
لالة	السالمة بنت الحسن
أسويعيدو	فاطمة منت أحمد بوبو
النجاة	أمهات
طويلت لعمر	فاطمة الصغرى
العزة	بنت خير بنت أحميد

الحجة	بنت خير بنت أحميد
بنت خير	خدجة منت أسلامة
سعداني	خدجة منت أسلامة
حاجتن الملقبة بـ: اخديدتن	خدجة منت أسلامة
ظو العين	السالمة بنت الحسن
سلم بوها	خدجة منت أسلامة
السحية	فاطمة منت أحمد بوبو
مريم	بنت خير بنت أحميد
أم الفضل	فاطمة الصغرى
مهنادة	فاطمة الصغرى[18]

2ـ نشأته

لقد نشأ شيخنا الشيخ سعد أبيه في الحوض خاصة منطقة الرك في موضعين منه هما: عين الفتح، ومحمودة.

يقول: وسائر أهلي كذلك، ومساكنهم منه في وسطه مواضع يقال الرَّك، وخاصة موضعين منه: أحدهما عين الفتح، فقد مكثوا عندها أربع عشرة سنة لم يتحولوا عنها قط، الثاني: محمود، وهي أضاة كبيرة مسيرة يوم طولا، ونصف يوم عرضا، لا تغور كالبحر، وفيها السمك، ولو كانت السفن هناك لأمكن سيرهن فيها، فمنذ عقلت نحن عندها لا نتحول عنها في فصل من الفصول حتى سرت عنهم وتركتهم عندها."

18 البحر الزاخر للشيخ أتقانا ص: 65.

فقد عاش إذاً في الحوض حتى أدرك إدراك الرجال كما نص على ذلك في هذا الكتاب الذي نحققه،

وقد ذكر في هذا الكتاب الذي نحن في صدد تحقيقه كشف الأستار أنه لم منذ عقل لم يتحول فصلا من الفصول عنها قال:

رابعا: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته

لقد تربى الشيخ سعد أبيه في جو علمي مفعم بالجد والتحصيل، حيث كانت محلة والده جامعة علمية، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ويتجلى ذلك في توفر كافة التخصصات العلمية التي كانت تدرس في هذه المحظرة، ولا غرو، إذ أن شيخها الشيخ محمد فاضل يعتبر من مجتهدي ومجددي هذه الأمة؛ كما وثق ذلك العلامة الشيخ محمد فاضل بن الحبيب، في نصَين من الضياء المستبين هما:

فقد كان يربى أبناءه تربية تؤهلهم لاستيعاب العلوم التي سيتلقونها،

يقول في الفتح المبين: "كان إذا بلغ الصبي من بنيه خمس سنين يأمره بذكر الله، تعالى، ويدوم لهم على هذا الحال حتى يكون الذكر غريزة فيهم، ثم إنه يتخولهم بكلام الحكماء، ويعظهم بالمواعظ الحسنة.[19]"

19 الفتح المبين للمحجوب الولاتي؛ مخطوط بحوزتي نسخة منه.

شيوخه:

يمكن أن نحصر من أخذ عنهم العلوم من مشايخ في ما يلي:

أـ والده الشيخ محمد فاضل لذي يعتبر شيخه الرئيسي في علوم الظاهر، وشيخه الوحيد في التصوف.

ب ـ الشيخ محمد الزين بن الشيخ محمد فاضل: قال الشيخ سعد أبيه: إن شيخه في القرآن الكريم هو الشيخ محمد الزين هذا.

كما لا يستبعد أنه استفاد من العلماء والمشايخ الذين كانوا يدرسون في محلة والده، مثل الشيخ ماء العينين، ويؤكد هذا ما قاله الشيخ ماء العينين في كتابه: ضبط الإخوة والأخوات في ترجمة الشيخ سعد أبيه: " كان ممن قرأ علي".

تلامذته:

لقد تتلمذ على الشيخ سعد أبيه آلاف التلاميذ في علمَيْ الشريعة والحقيقة، وقد ضاع للأسف أسماء كثير منهم لكن أبى التاريخ إلا حفظ أسماء رجال منهم، نهضوا بحال الأمة، وأسسوا كيانات علمية وروحية كبيرة.

يقول الشيخ اتقانا بن الوالد: "وهم في الغالب بعد التصدر على ثلاثة أقسام:

ـ منهم من اشتهر بالعلم والولاية.

ـ ومنهم من اشتهر بالصلاح والإجابة

ـ ومنهم من اشتهر بالحكمة والسيادة والرئاسة في قومه وتسلسلت في ذريته".[20]

قال الأستاذ ألب في جرده لهؤلاء الأسماء في موسوعته الفاضلية: تصدر على يدي الشيخ سعد أبيه الكثيرون منهم بعض بنيه، وأبناء إخوته، وأبناء عمه، وغيرهم من الأشراف، والزوايا، وحسان، والأعجام، والزنوج (الفلان، والولف، والسوننكه، والبمبارا، وغيرهم).

واللافت للنظر أن عددا لا بأس به من هؤلاء إنما تصدر عنه في الطريقة التيجانية، وحتى الشاذلية. ونذكر من غير بنيه:

ـ الشيخ اباب بن... اليعقوبي

– الشيخ ابات صار

– الشيخ إبَرا قي

– الشيخ إبراهيم سك

– الشيخ إبراهيما سيسى

– الشيخ إبراهيم افاي

– الشيخ إبراهيما قي

20 البحر الزاخر 132/1.

– الشيخ إبري قي

– الشيخ ابن العربي لي (1969هـ)

– شيخنا: الشيخ أحمد أبو المعالي بن الشيخ أحمد الحضرمي (1307هـ – 1385هـ)

– الشيخ أحمد الأجواد بن محمد محمود (حمود) (من أهل اعلي الحاج الغربي)

– الشيخ أحمد انجاي

– الشيخ أحمد باب بن الزمراقي البارَكي

– الشيخ أحمد بن دياه السباعي

– الشيخ أحمد بن محمدُ بن يا متالي الألفغي

– الشيخ أحمد علي بن أبته

– الشيخ أحمد فال بن... البوفْلاني

– الشيخ أحمد كوري بن الصفي الفودي (1945هـ)

– الشيخ أحمدنا بن الشيخ الحضرمي (فورلوا - لنكير)

– الشيخ أعمر مولود بن أحمد شيبة الانتابي

– الشيخ افراما سانيا

– الشيخ الْبُ بن الشيخ سيدي المختار (يب المختار) بن الشيخ سيدي عثمان (الخليفة)

– الشيخ البشير بن امباريقي اليدمسي (1286هـ – 1354هـ)

– الشيخ البكاي بن عبد الله القلقمي

– الشيخ ألجومهبا (1945هـ)

– الشيخ الحاج ماجور سيسي

– الشيخ الحاج مامادو لامين دَرْن

– الشيخ الحاج ماهوا سيْن

– الشيخ الحبيب بن السمان السباعي

– الشيخ الحبيب بن المختار بن انتف الركاني التندغي

– الشيخ الحضرمي بن محمد فاضل

– الشيخ الحضرمي بن مصباح الدين (جارا جولف) (1301هـ – 1371هـ)

– الشيخ الرسول بن... السباعي

– الشيخ الزاكي بن... اللمتوني

– الشيخ الشريف سيدي بن....

– الشيخ الطالب أبي بكر (الطالب بوي) بن الشيخ محمد فاضل

– الشيخ الطالب محمد بن مصباح الدين بن الشيخ محمد فاضل

– الشيخ آلفا ادتول

– الشيخ المامي مامادو بيرام (1310هـ)

– الشيخ المحفوظ بن الشيخ الطالب أخيار (الشيخ آب) (في كاص ماص) (1277هـ – 1338هـ)

– الشيخ المختار جوب

– الشيخ آمادو آو

– الشيخ آمادو جوب

– الشيخ آمادو جي

– الشيخ آمادوجينغ

– الشيخ آمادو علي

– الشيخ آمادو فال

– الشيخ آمادو لامين دَنْتْ

– الشيخ آمادو ماتار جوب

– الشيخ آمادي علي

– الشيخ امبارك جوب

– الشيخ امبولومارام

– الشيخ انجاي كان

– الشيخ انجوبو سَيْ

– الشيخ انجوك جين (1948هـ)

– الشيخ انداريا دياختى

– الشيخ أيف جوف

– الشيخ باي بير افال

– الشيخ بخاري دات

– الشيخ بكاري كمرا

– الشيخ بيرامْ سكْ

– الشيخ بيرام كادُّو

– الشيخ بيرام كمب واد

– الشيخ بيرام اجا

– الشيخ تيرنو اندودي

– الشيخ تيرنو آو

– الشيخ تيرنو بو بكر

– الشيخ تيرنو يحيى حيدره

– الشيخ تيفيْ جوفْ

– الشيخ جبريل كده

– الشيخ جتلو سك

– الشيخ حاميدو كان

– الشيخ داوود دم (1930هـ)

– الشيخ دكتا لَو

– الشيخ دلل كا

– الشيخ دود سك (ابن المقداد)

– الشيخ دوغو

– الشيخ ذو النون لي بن الشيخ محمد لي الفوتي (1927هـ)

– الشيخ ساليفو جالو

– الشيخ ساموري توري

– الشيخ سعد أبيه بن الشيخ الحضرمي

– الشيخ سعد أبيه بن بوهن (1942هـ)

– الشيخ سعد أبيه كمرا

– الشيخ سعد جقانا

– الشيخ سلِيمان (في أوريفندي)

– الشيخ سليْمان آلفا

– الشيخ سيدي أحمد بن الطفيل (من اتفاغ الخطاط)

– الشيخ سيدي الأمين بن الشيخ محمد فاضل

– الشيخ سيدي الخير بن الشيخ محمد فاضل (1335هـ)

– الشيخ سيدي المختار (يب المختار) بن الشيخ الخليفة

– الشيخ سيدي المختار بن العربي الأبيري

– الشيخ سيدي المصطفى بن العربي

– الشيخ سيدي بن مولاي أبي بكر الشريف التيشيتي

– الشيخ سيدي بن عبد الرحمن بن المعلوم (1292هـ – 1333هـ)

– الشيخ سيدي سالم بن محمد بن سيدي الأمين البوفْلاني (1345هـ)

– الشيخ سيدي علي (يَرْبَانَّ) بن سيدي عيسى القلقمي

– الشيخ سيدي محمد بن ماون البوسيفي الكنتي

– الشيخ سيرى عباس صون

– الشيخ سيفور قي

– الشيخ شيخو جوفْ

– الشيخ عبد الحي بن محمد بن احميد اليعقوبي

– الشيخ عبد الرحمن بن أعمر بابانا بن الطالب أحمد (1334هـ)

– الشيخ عبد السلام كان

– الشيخ عبد القادر سيسى

– الشيخ عبد الكريم جالو

– الشيخ عبد الله (كلاه) بن صلاحي المقري التندغي

– الشيخ عبد الملك بن... الألفغي

– الشيخ عبدُ مامادو

– الشيخ عثمان بارو

– الشيخ عثمان جانْ

– الشيخ علي انقير

– الشيخ علي آو

– الشيخ علي مانَ

– الشيخ فانتا مادي المالي

– الشيخ فودى كابا

– الشيخ كور جوب

– الشيخ كور سك

– الشيخ لابَا

– الشيخ لاتيرفاي

– الشيخ ما تنادو سك

– الشيخ ما دمبا انجاي

– الشيخ ماصالا قي

– الشيخ ما لامِين جي نور

– الشيخ ما لامين جيي

– الشيخ مالك جا

– الشيخ مامادو المامي انديان

– الشيخ مامادو انجاي

– الشيخ مامادو بيرام المامي (1307هـ)

– الشيخ مامادو بيرام عبدو (1307هـ)

– الشيخ مامادو جمبرى

– الشيخ مامادو دمبا ديالو

– الشيخ مامادو كان (والد الشيخ عبد السلام كان)

– الشيخ مامادي آلفا

– الشيخ محمد إبراهيم بن المرابط محمد المختار (بتار) بن المرابط أحمد عَمُّ

– الشيخ محمد إبراهيم (برهومي) بن محمد ابَّات القلقمي

– الشيخ محمد أجاي

– الشيخ محمد الأزعر بن حبيب الله (حي الله) اليعقوبي

– الشيخ محمد الأمين بن أحمد باب (1395هـ)

– الشيخ محمد الأمين كان

– الشيخ محمدُ بن أمَّن اليعقوبي

– الشيخ محمد بن حنبل

– الشيخ محمد تقي الله بن محمد المصطفى بن محمد

– الشيخ محمدُ جنبرى

– الشيخ محمدُ جنك

– الشيخ محمدُ جوب (1354هـ)

– الشيخ محمد سعد أبيه بن محمد فاضل بن محمد الأمين بن محمد الزين بن محمد (ابَّ)

– الشيخ محمدُ عالي

ـــــــــ محمد عبد الله بن سيدي بابا السمسدي

– الشيخ محمد عبد الله بن موسى الجكني

– الشيخ محمد علي جقانا

– الشيخ محمد فاضل (التراد) بن العباس بن الشيخ الحضرمي (1304هـ – 1365هـ)

– الشيخ محمد فال بن أبته

– الشيخ محمدُ لو

– الشيخ محمد لي الفوتي

– الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ أحمد تاج العارفين

– الشيخ محمد مختار جوب

– الشيخ محمذ بن أحمد بن عباس الأبيري (1327هـ)

– الشيخ المختار بن احميِّد

– الشيخ مختار جنغ

– الشيخ مصطفى جوب

– الشيخ مصطفى قي –

الشيخ مقت صال

– الشيخ مكضو صال

– الشيخ مود سيسى

– الشيخ موسى بوكا

– الشيخ موسى صار

– الشيخ موسى قي

– الشيخ موسى كمرا بن أحمد الحبيب

– الشيخ موسى كي

– الشيخ مومار لوكان

– الشيخ يبر قي

– الشيخ يحيى ألفا

– الشيخ يحيى كان

– الشيخ يرم سك

– الشيخ يلليمنلْ افال

– الشيخ يوسف باآمارقي

– الشيخ يوسف قي

سادسا: آثاره

لقد خلف الشيخ سعد أبيه آثارا علمية جليلة وتراثا معرفيا ضخما، اتسم بالإبداع والتحقيق، وتصحيح الخطأ المشهور، وتلخيص ما يحتاج لتلخيص، وبسط ما يكون ملخصا، وقد اعتنى من العلماء بعَدِّها واستقصائها، وخاصة من ترجم له مثل العالم الشيخ الداه بن الوالد، وكذلك الشيخ أتقانا بن الوالد، والأستاذ ألب بن ازيدبيه، الذي يعتبر أكثر هؤلاء ذكرا لمؤلفاته، وفيما يلي ما ذكره الشيخ اتقانا ولد الوالد إذ جلب واحدا وستين عنوان كتاب، وقد اطلعتُ أنا على عدة كتب من هذه المؤلفات، وسأذكر تلخيصا مجملا للكتب التي اطلعتُ عليها، مرتبا إياها ترتيبا ألفبائيا:

- أجوبة ابن حنبل
- الأسنة النافذة في رد البيعة الحادثة : كتاب استعرض فيه المؤلف محطات مهمة من سيرته العطرة خاصة فترة تربيته الصوفية على يد والده ، وما جرى له عند منطقة الكبلة والمناظرة التي خاضها، كما نفى في هذا الكتاب أن يكون بايع أخاه الشيخ ماء العينين بيعة التصوف، وأنه لم يبايع إلا والده الشيخ محمد فاضل حتى حلاه بالمشيخة.
- إغاثة الملهوف فيما دهاه من كل أمر المخوف والصلاة والسلام على النبي الرؤوف، صلى الله عليه وسلم، وهو في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد قسمه إلى أربعة أرباع،

وطريقته في تصنيفه يدعو الله أن يصلي على النبي، صلى الله عليه وسلم، مع ذكر صفة من صفات النبي عليه الصلاة والسلام، كذلك يذكر حوائجه لله متوسلا إليه بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام، كما اشتمل هذا الكتاب على بعض الأسماء السريانية لله، تعالى.

قال في مقدمته بعد الحمدلة: "شرع هذا العبد الذي لو كان على الله شيئا يخفى لكان عليه لحقارته، في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، رجاء أن يغاث بها من هو مطرود ومجفى وسميته إغاثة الملهوف فيما دهاه من كل أمر المخوف والصلاة والسلام على النبي الرؤوف، صلى الله عليه وسلم، "

- بذل الوسع في المسائل التسع: جواب لرسالة مريده سيدي سالم بن محم بن سيدي الأمين في المسائل التي أشاع خصومه عنه، وهي: التسحر بعد طلوع الفجر – جمع تسع نسوة في عصمة واحدة – الأمر بصيام الأعياد – أن بعض تلامذته قال: إنه لو أمره بشرب الخمر لطاوعه فيه مبالغة – ادعاء رؤية الله تعالى – أن مبنى أمره على السحر – أن تلاميذه يصلون، وعلى ظهورهم بعض الصبية، تصديقه ببعض كرامات والده ومنها نسبة ابن له تصور وولد بعد موته.

وهو كتاب علميٌ عظيم أبان فيه الشيخ سعدُ أبيه أنه عالم من طرازٍ عالٍ، معلنا فيه دفاعه عن عقيدته الأشعرية، وطريقته الصوفية قال في مقدمته: فإنه ذكر لي أن بعض من ينسب إلى العلم منهمك في الطعن علينا، والإنكار لما لدينا مع أنه لم يجتمع بنا قط في مجلس بل هو من حقيقة أمرنا مفلس، فهو ينكر علينا رجما بالغيب، وولوعا بسوء الظن، والريب، ويلفق غثاء الأقاويل، ويعنعنها عن أهل القال والقيل حتى لفق تسع مسائل يوشيها بين أندية المحافل والأراذل.

ثم إن هذا المنكر لم ينصفنا، ولم يختر لنفسه فتسور سقف الإنكار ببادي الرأي، وصدق فينا من جرحه الله، تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾، وقال، صلى الله عليه وسلم، (شر الناس...) قال الفضيل بن سهل: اتقوا الساعي، فإنه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه لئيما إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة، وروي إن قائلا قال لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن أبا بكر وعمر شربا الخمر وكررها عليه مرارا ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، معرض عنه فقيل له: أوما تصدق هذا فقال، صلى الله عليه وسلم: (لو كان هذا يصدق لما نم)، وروي أن معاوية عتب على الأحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فقال له معاوية: بلغني عنك الثقة، فقال له الأحنف: الثقة لا يبلغ".

- بغية الطلاب ومنية الألباب: وهو في فقه الحديث حيث جمع أربعين حديثا طلبا لأجر من حفظ للأمة أربعين حديثا، وقد علق على هذه الأحاديث تعليقات وجيزة.
- تاج الصلوات على سيد الكائنات: في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، قسمه إلى أربعة أرباع، محذوف المقدمة بدأ الربع الأول بوصف النبي، صلى الله عليه وسلم، بـ: "يا هيا شراهيا".، وبدأ الربع الثاني بـ: " يافجش يا ثظخر، يا شراشيل"، وكذا في الربعين الأخيرين استعمل الأسماء السريانية مع العربية في دعائه.
- تشريف البقاع في شرف أبناء أبي السباع: كتاب صغير الحجم أقام فيه الأدلة الواضحة على صحة شرف السادة أبناء أبي السباع وأن شرفهم من الشرف الأجلى، وهو أعلى رتبة من مراتب الشر، عند علماء النسب.
- تعجيز البرهان في تحريم الشم والدخان
- ـ جُنَّةُ المذنب وطهارة المخبث، وهو ورقات قليلة في أربع صفحات بالمقياس الصغير في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، قال في بدايته:

وبعد فيقول سعد أبيه أكمل الله له كل ما يرتجيه: إنني لما هالتني كثرة ذنوبي، وأخجلتني خسة عيوبي، وكدت لولا علمي بعفو يعتريني

نوع قنوط، ووقوع سقوط فتيقنت أن ليس ينفعني إلا عناية ربي، جل وعز، وشفاعة نبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فاخترت أن أتوسل إلى ربي، وأتقرب إليه بنبذة وجيزة، وطرفة عزيزة في الصلاة على نبي الرحمة، وسيد الأمة؛ لعل الله يقيل بها عثرتي، ويستر بها زلتي، وسميتها جُنة المذنب وطهارة المخبث."

- جواب السكتة أي بعد الإحرام وقبل الفاتحة لم أقف عليه.
- الجواب السيد في مسألة المختار بن احميد لم أعثر عليه.
- جواب الشيخ محمد لوه لم أعثر عليه.
- الجواب المحتوم للمنكر علينا في أمر الروم كتاب ألفه في بيان حقيقة موقفه من نازلة المستعمر والادلة القاضية على صحة مذهبه، مخطوط متداول.
- جواب مدعي المهدية : يرد فيه على أحد الباركيين ممن ادعى المهدية، ويبين له أن بعض المشاهدات قد يتأثر بها الفكر حتى تخيل إلى مثل هذه التخيلات، وإن أرجعها السالك إلى ميزان الشريعة تحقق من الحقيقة.
- جواب المريد
- جواب رسالة الشيخ التراد بن الشيخ الحضرامي: رسالة من شيخ لمريذه وابن ـخيه تتضمن نصايح عامة وأسرار وحكم خاصة، مع الضمان بالنجاح وقضاء الحوائج.

- جواب سؤال في حكم المسجد
- حاطب ليل: كشكول من المعارف العلمية مختلفة الموضوعات تطرقت للكلام على فوائد قرآنية وحديثية وأصولية وفقهية ونحوية وتاريخية وصوفية.
- الخواتم : كتاب خصصه لسرد مآثر والده وبعض إخوته وما ختم الله تعالى لهم من خاتمة حسنة، فقلَ أن يختم لأحدهم إلا وهو ساجد أو جالسا يذكر الله تعالى أو يقرأ القرآن الكريم، قال في مقدمة كتابه "الحمد لله الذي أكرم أهل وَلايته بحسن ولايته ورعاهم في الحياة وعند الممات بعين عنايته... أردت بحول الله تعالى، أن أكتب نبذة تفيد قارئها مشتملة على فوائد متضمنة حسن خاتمة والدي وشيخنا الشيخ محمد فاضل وخواتم أبنائه ممن مات قبله أو بعده منهم، ليعلم أن ما أعطاه الله ليس استدراجا."
- ردع الشبان عن مخالطة النسوان
- الرفرف الممهد على مطية المجد
- روضة الوراد ونزهة الزهاد والعباد
- الرؤية والمعية
- زَهْرةُ الآكَام في الصلاة على خيرِ الأَنَام، صلى الله عليه وسلم، وهو في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، يذكر فيه أوصاف النبي، صلى الله عليه وسلم، ويتوسل به إلى الله

لتحقيق غاياته التي ذكرها، ولم يجزئه، ولم يدخل ألفاظا غير عربية، لم يأت فيه بمقدمة.

- السعادة الأبدية في الصلاة على خير البرية، صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو من أكبر كتب الشيخ سعد أبيه في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، يقع في خمسين صفحة في المخطوط، قال في مقدمته:

" الحمد لله الذي هدانا لكتابه، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أحبابه، وجعل القرآن نورا، وهدى لمن آمن به واهتدى، والصلاة والسلام على سيد السادات القائل: <من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات>،... جمعت الآيات الدعائية القرآنية ليكون المصلي ذاكرا داعيا مسبحا، مهللا تاليا، فجاءت مشتملة على ثمانية فصول أسأله، سبحانه وتعالى، القبول خاتما كل فصل بصالح الدعوات الخيرية المروية عن صاحب الطليعة البهية سميته السعادة الأبدية في الصلاة على خير البرية".

وهذه الفصول الثمانية هي:

- الفصل الأول في الآيات الدعائية؛ الفصل الثاني: في آيات التهليل؛ الفصل الثالث: في آيات الفتح؛ الفصل الرابع: آيات التوكل والسبع

المنجيات؛ الفصل الخامس: في آيات الحفظ؛ الفصل السادس: في آيات النصر؛ الفصل السابع: في آيات الشفاء، وآيات السلام، وآيات الكفاية، وآيات اللطف؛ الفصل الثامن: في الآيات التي وردت في حق سيد السادات، صلى الله عليه وسلم.

- سلاح المعارك في جواب ولد امبارك
- سُلم الخلاص للمتعلق بسورة الإخلاص
- السور القائم بمعنى الستر القائم
- شرح لامية الأفعال
- الطود الشامخ في الصلاة في أول الأوقات وتقبيل أيدي المشايخ
- العباب في تفسير الكتاب: عتبر كتاب العباب في تفسير الكتاب درة نفيسة من أهم مراجع كتب التفسير الشنقطية التي لاتزال مفقودة وهي من تأليف شيخنا الشيخ سعد أبيه ومن خلال بحثي عن هذا الكتاب في مظانه توصلت إلى بعض المعلومات التي منها :
  - أن الغالب أن يكون المؤلف قد قارب أو أنهى تأليفه .
  - وأنه بدأ في تأليفه في سنوات عمره الأولى حيث رأيت أخاه العلامة الشيخ ماء العينين يعزي له في كتابه (ماجاء في صلة الرحم من الأحاديث) وهذا الكتاب انتهى الشيخ ماء العينين من تألفيه سنة 1274 هجرية بمعنى أنه قبل وفاة شيخنا الشيخ سعد أبيه بتسع وخمسين سنة اي ان عمره آنذاك في حدود العشرين من عمره..

- أنه بدأ تأليفه في حياة والدهما القطب الرباني شيخنا الشيخ محمد فاضل المتوفى سنة 1286 هجرية يقول شيخنا الشيخ ماء العينين (ت 1328 ه) في كتابه ما ورد من أحاديث في صلة الرحم ((وفي العباب تأليف أخينا الشيخ سعدأبيه بعد الكلام على الاعراب والتفسير تتميم ((الأرحام والقربات مشتق من الرحم لأنهم خرجوا من رحم واحدة أو من الرحمة لأن القرابة يتراحمون فيما بينهم وقد اتفقت الأمة على وجوب صلة الرحم وعلى منع قطعها؛ انتهى منه ونسبه مع آخر التتمة لضياء التأويل واللباب جزاه الله بأحسن جزائه ءامين ...) وهذا الكتاب عندي نسخة منه...
- إن عزو الشيخ ماء العينين يدل أن الكتاب إما أن يكون اكتمل أو أن جزء قد انتهى بعد تهذيبه وتنقيحه وصار صالحا للنشر..
- ومما يدل ايضا على أنه قد يكون انتهى منه تلك الأبيات التي في الديوان (((وكأني بالمعارضين فيه على أربع فرق إلى أن قال : والرابعة تلقته بالقبول حتى قال يصفها:

وأنشدت بلسان الحال قائلة إن العباب لهو الشمس في الكتب
مصنف جمع العلوم زبدتها حقت كتابته بالدر والذهب
فالعلم ديدنه والنور معدنه والفصح معونه والضوء كالشهب

- ومن خلال هذه المقدمة غلب على ظني أن التأليف إن لم يكمله مؤلفه فقد اقترب من إكماله إذ أن عادة بعض العلماء أن يؤخروا كتابة المقدمة عن محتوى الكتاب حتى يسطروها وقد استوعبوا المادة الكاملة التي سيقدمون لها وهذا هو المنهج المتنبى حاليا في الدراسات العلمية الأكاديمية...
- يبقى الأمل معلقا بعد ظهور هذه العولمة وسهولة أخذ المعلومات والتوصل بالمخطوطات معلقا على أن يمن الله بالحصول على هذه الدرة الشنقيطية في التفسير النادرة وهذا المنشور المقصود ضخ دماء جديدة من أجل الحصول على هذا المخطوط وكثرة السؤال عنه

- فتح الجلال على منبع الارتجال: شرح منظومته منبع الارتجال في التصوف، في عداد المفقود، وقد حدثني شيخي الشيخ محمد المامون بن الشيخ عبداتي أنه كان في خِزانته في مدينة كرو.
- الفيض الوهبي على آية الكرسي
- كاشف حجب الأستار في شرح نظم سلم الإظهار، شرح نظم محمد مولود ولد أغشممت، وهو الكتاب الذي نحن بصدد طباعته.
- الكشاف
- كشف اللبس عن المسائل الخمس: وهو جواب لمريده عبد الله بن موسى الجكني[21]، وهي: الفرق بين السحر، والكرامة،

21 بحثت لترجمة عنه، فلم أجده.

والاستدراج، وغيرها من خوارق العادة – ما معنى المراقبة المشاهدة وأمثالها من مصطلحات التصوف – هل رفع الصوت بذكر الله في المساجد مكروه أم لا – هل الأسماء العجمية مروية عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، – ما معنى الأبيات التالية:

عار على من لم يرض علوما ويعلم الموجود والمعدوما
ولم يكن في بذله فقيها وسائر الأحكام لا يدريها
ولم يكن أحكم علم الحال ولا درى مقاصد الرجال
والحد والأصول واللسانا والذكر والحديث والبرهانا
ولم ينزه صفة المعبود أو يدر كيف رتبة الموجود
والعقل والنفس معا والروح أن يتعاطى رتبة الشيوخ

وقد أجاب عن هذه الأسئلة أجوبة علمية عميقة تدل على طول باعه، في الجمع الشريعة والحقيقة، جمعا حصَّله عن طريق الوهب، استعمل منهجا رصينا بالجمع بالأدلة الشرعية من كتاب وسنة واطلاع ما سطره الأئمة المعتمدين في كتبهم، كما لا يخفى سعة اطلاعه في علم اللغة العربية من خلال تصحيح الأغلاط الشائعة، وضبط الكلمات الشاردة، وحشر النكت الأدبية الطريفة التي تخفف على القارئ وقع إمعان النظر في المعضلات العلمية، أما علم التصوف فيعتبر هذا الكتاب محررا لمسائل علمية صوفية تحريرا بليغا لم يدع للمتحدث بعد مقالا.

قال في مقدمة الكتاب:

"أما بعد فيقول سعد أبيه أكمل له الله ما يرتجيه: إن مريدنا الحاذق الذائق والصفي الموافق الفائق محمد عبد الله بن موسى الجكاني، قد سألنا عن أسئلة يبديها الجواب، وقال: إن فتحها أعجز سائر الطلاب، وأشكل أمرها على ذوي الألباب فأردت فتحها بعون الله الوهاب إسعافا له بمراده، وشفاء لغلة فؤاده، وسميته كشف اللبس عن المسائل الخمس فيقول مستعينا بالله، تعالى، متوكلا على الله."

- الكوكب الزاهر في الصلاة على سيد الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وسلم، وهو في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، قسمه إلى أربعة أرباع، خصصه للدعاء بأن تكون الصلاة على النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، تعلو الصلاة على سائر الأنبياء فذكرهم بأسمائهم؛ قال في المقدمة:

"إني أردت أن أمتثل بحسب الطاقة أمرَ ربي في الصلاة على جدي وأبي لعل الله أن يطهر بها أدران قلبي، ويوفق للطاعة جسمي ولبي، ويزيل بها غمي وكربي، ويبدل بالأمن خوف ربي، ويغفر بها جرائم ذنبي، ويستر لها زللي وعيبي، فجاءت بحمد الله نبذة كافية، وجرعة سائغة، وسميتها: الكوكب الزاهر في الصلاة على سيد الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وسلم".

- مجمع البحرين فيما يقع بين الاثنين. لم أقف عليه.
- مرشد الأحباب إلى ما ينجي من العذاب. لم أقف عليه.

- مرشد الأذهان لتحصيل طب الأبدا: كتاب في الطب التقليدي.
- المشوش بين العلماء والمحرش بين الفضلاء : في الرد على من شكك في العلاقة بين آل الشيخ محمد فاضل بن مامين وآل الشيخ سيديا، الأسرتان التي جعل الله بينهما من المحبة والتعظيم الشيء الكبير، كما ختم هذا الكتاب بالتعريف ببعض إخوته.
- ملجم الكفر للمعترض علينا فقي أمر الذكر: رسالة صغيرة في الترغيب بالذكر والأدلة الشرعية الدالة على أرجحية الذكر جهرا.
- منبع الارتجال: نظم خاص في الجانب الذوقي من علم التصوف، وذكر المشاهد التي يشهدها السالك والبحور التي يغوصها، والأحوال التي يمكن يتحلى بها.
- منبه الأخيار بضعف بعض شائع الأخبار: نظم في علم الحديث رواية ودراية، أما الرواية فذكره الأحاديث الضعيفة التي شاعت بين الناس، وأما الدراسة فخاتمة في مصطلح الحديث.
- نبراس الغامض في شرح الغامض من أسماء الحسنى : نظم يعنى بأسماء الله الحسنى شرحا وذكرا للخصائص والأسرار، قال في مقدمته : يقول سعد أبيه أكمل الله له ما يرتجيه أما بعد : فإني أردت أن أضع تعليقا أخدم به أسماء

الله الحسنى يوضح أسرارها والمعنى ويبين القاصي من أسرارها والأدنى وسميته نبراس المعنى للغامض من أسماء هللا الحسنى:

- نزهة اللبيب في جواب اعل بن محمد لحبيب"
- نزهة النفوس
- نظم السفر : نظم جامع آداب وأحكام السفر وهو نظم متداول بكثرة.
- نفحة الأمان من خزي الدنيا ويوم الديان في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، قال في بدايته: " فها أنا ألفتُ منها لفافة العريان، وسقاية الظمآن، وإغاثة اللهفان، وسد جوعة الغرثان، وسميتها نفحة الأمان من خزي الدنيا ويوم الديان" وقد قسمه إلى أربعة أرباع.
- النفع العميم في بركة بسم الله الرحمن الرحيم: وهو كتاب في أسرار البسلمة وما أودع الله جل وعلا فيها من خصائص التي لا تدخل تحت الحصر، مع ذكر الأحداث التي وقعت له.
- نور الصراط المستقيم، نظم صوفي يبلغ 600 بيت في بحر الرجز خاص بالجانب السلوكي من علم التصوف خصصه لذكر قواعد عامة في الطريق والمراحل الأولية فيه، ومقامات أهله وأحكام الذكر.

- النور المغتبَط في الصلاة على الفائق في كل نمط، صلى الله عليه وسلم: في الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد انتهج فيه نهج التوسل لقضاء الحاجات بالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وقسمه إلى أربعة أرباع، قال في مقدمته:

"فيقول سعد أبيه ـ بيض الله وجهه يوم تبيض وجوه ــ إني لما نظرت إلى ذنوبي فإذا هي أكثر من ذنوب الجن والإنس، ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل معشار ما اجترحته في يوم أمسي، لما وجدوا إلى ذلك سبيلا، علمت أني لا لي بد لي من جاهٍ يكون عند الله وجيها، لعل الله يغفر لنا الكثير والقليل، تطفلتُ على كرم ربي بكلمة الشهادة وبالصلاة على نبيه لعله يكرمني، ومن انتسب إلي بالجنة والزيادة، وسميت التأليف بـ: النور المغتبَط في الصلاة على الفائق في كل نمط، صلى الله عليه وسلم".

- الهجرة والجهاد لم أقف عليه
- الوصية لم أقف عليه
- وصيته لسيدي سالم لم أقف عليه
- الوهب السماوي على قصيدة الشبراوي لم أقف عليه

سابعا: وفاته وثناء العلماء عليه

- توفي، رحمه الله، سنة 1917م 1335هـ.

وقد أرخ لوفاته العلامة المختار بن المحبوبي في نظمه الذي ألفه في وفيات الأعيان:

ومـات فـي هـلٍ مـن الزمـان سـعد أبيـه غـرة الزمـان
من عمَّ الأرض مشرقا ومغربا علمـا وحلمـا وتقـى وأدبـا
ونشـرَ الأوراد والسـودان ذلـوا لـه وخضـعوا ودانـوا[22]

آراؤه الفقهية:

ــ كانت أكبر نازلة فقهية وقعت في عصر الشيخ سعدأبيه والتي غيرت من نمط العيش في المنطقة نازلة دخول المستعمر للبلاد، التي أثارت جدلا واسعا بين العلماء يومئذ، وقد كان موقف الشيخ سعدأبيه جواز مهادنة المستعمر نظرا لأمرين:

أـ عدم الاستطاعة حيث أن السكان لا عُدة لهم في مواجهة دولة من أقوى دول العالم جيش مجهز بأحدث وسائل القتال المعاصرة حينئذ حيث بإمكانهم القضاء على السكان في وقت وجيز، لذا كان الحفاظ على الأنفس أولى، مع أن الشيخ سعد أبيه اشترط أن لا يعترض المستعمر لدين أبدا فكان له ذلك.

ب ـ الأمر الثاني عدم وجود سلطة مركزية متفق على الانضواء تحت لوائها، لأن السكان كانوا إمارات متعددة وبعضها متناحر مع

22 نظم الوفيات للمختار بن المحبوبي مخطوط بحوزتي نسخة منه

بعض، بينما العدو الذي ذكرنا عدته موحدة كلمة ومتفان في خدمة قيادته.

وانطلاقا من هذه المسوغات الشرعية، تبنى الشيخ سعد أبيه هذا الرأي، ولأن موقف الشيخ هذا شهد مؤخرا انتقادات من أشخاص لم يطلعوا على ما كتَب أو كتب عنه، فقد خصص كتابا بعنوان " موقف الشيخ سعد أبيه من نازلة المستمعر" قرأت أغلب ما كتب الشيخ من رسائل ووثائق ، وخرجت بنتائج علمية موثقة، أسأل الله أن ييسر طبعه في أقرب وقت.

ــ جواز العمل بالقول المنسوب نسبة صحيحة إلى صحابي وإن لم يثبت أن إماما عمل به؛ قال في كتابه بذل الوسع: "اعلم أنه مما ابتلي به عوام الفقهاء المقلدين التبري من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا أراد أحدهم تضعيف حكم يقول هذا مذهب صحابي لا يجوز تقليده، وليت شعري من أين لهم هذه البدعة القبيحة التي تضمنت تجريح الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن برزهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقوله: (أَصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وبقوله، صلى الله عليه وسلم: (إني لا أدري ما نفادي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر، وعمر، وتمسكوا بهدي عمار، وما خولكم ابن مسعود فصدقوه)، وبقوله، صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات

الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)، فقد عم بهذه الأحاديث الأمر بالعمل بهدي أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتقديم كلامهم على كلام غيرهم من التابعين فمن بعدهم لورود الأمر بالاقتداء بهم على التابعين والتصريح دون غيرهم"[23]

ـــ جواز التسحر قبل طلوع الشمس وبعد دخول الفجر، ولم يكن يأخذ بهذا الرأي لكنه كتب فيه صدقة على أهل الضرورات من المسلمين للتوسع عليهم:

"فها أنا إن شاء الله أبين جواز التسحر فيما قبل طلوع الشمس، وإن لم يكن لنا بمذهب صدقة على ذوي الضرورات من المسلمين ففي الترمذي حدثنا هناد بن السدي عن ملازم بن عمر بن عبد الله بن النعمان عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول، صلى الله عليه وسلم، قال: (كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد، وكلوا واشربوا حتى يعترض الأحمر) قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم أنه لا يحرم على الصائم الأكل والشرب حتى يكون الفجر الأحمر المعترض، وبه يقول عامة أهل العلم، وقال: حدثنا هناد، ويوسف بن عيسى قالا: حدثنا وكيع عن أبي هلال عن سوادة عن حنظلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال، ولا الفجر المستطيل، ولا الفجر المستطير في الأفق)، وقال

23 بذل الوسع عن المسائل التسع لشيخنا الشيخ سعد أبيه، مخطوط، ص 5

حدثنا أبو داود الطيالسي عن هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك عن زيد بن مالك قال: سحرنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم قمنا إلى الصلاة، قال: قلت كم كان قدر ذلك؟ قال قدر خمسين آية، قال: حديث حسن صحيح، وبه يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، انتهى نص الترمذي، وفي حديث البخاري: (إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) قال ابن عمر: وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال: أصبحت أصبحت، وفي كشف الغمة: وكان يقول، صلى الله عليه وسلم: (الفجر فجران: فجر يحرم فيه الطعام والشراب، وتحل فيه الصلاة، وفجر يحل فيه الطعام والشراب وتحرم فيه الصلاة)، وفي السنهوري على الشيخ خليل في باب الوقت ما نصه، وذهب جماعة منهم الأعمش إلى أن الإمساك لا يجب إلا بعد طلوع الشمس قال أخذا بظاهر حديث حذيفة، وقد سئل عن تسحره، صلى الله عليه وسلم، فقال: (هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع)، و بقوله، تعالى: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ لأن الله، تعالى، لما قال: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ علم أن الصيام إنما هو في النهار خاصة، وآية النهار الشمس، فلا صيام قبلها، وأخذا منه بحديث: (صلاة النهار عجماء) أي: لا جهر فيها، والصبح جهرية، فكان وقتها بمعزل عن النهار، وتؤول قوله، تعالى: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض﴾ بأنه ما يبدو من شعاع الشمس عند طلوعها أو بأن الخيط الأسود هو ما يرى

من السواد بالمغرب وقت طلوع الشمس، وأما ذلك السواد كائن من ظلمة آخر الليل وقت طلوع الفجر انتهى.

فإذا تقرر هذا علم المنصف أن من اقتدى بهذا المذهب لبعض ضعفاء المؤمنين لا يستحق التكفير ولا التغيير، لكن الجهل أعم فأعمى والحسد طم فأصمى.

ــ عدم جواز إعطاء الاسم الأعظم للغرباء والمبتدئين في الطلب: قال الشيخ سعدبوه بن كمرا: "قال شيخنا الشيخ سعدبوه: ومعنى المكتوم أنه لا يعطى للبرانيين، ولا لأهل الابتداء، ولا لغير أهل التقوى، ولا لمن لم يبذل النفس والمال فيه"[24]

هذه مجرد نماذج قليلة على تدل على أن الشيخ سعدأبيه بلغ رتبة من التبصر قل من يبلغ شأوه فيها.

- **أقوال العلماء فيه**

لقد أثنى علماء قُطره وغيرهم من عصره إلى اليوم عليه بأنواع الثناء الجميل، وشهدوا له بجميع الخصال التي دون النبوة، وسنقتصر بحول على بعض هذه الشهادات.

24 المجموعة الكبرى للدكتور يحيى بن البراء الفتوى رقم 2247.

1ـ من ذلك قول والده شيخنا الشيخ محمد فاضل1286هـ: " قد أسعفتك وادي خير وشر فادخل من شئت في أيهما شئت"[25]

2ـ يقول الشيخ محمد فاضل بن الحبيب: " ولقد شاهدت في محمد الحطاب وسعد من الكشف ما لا أكاد أذكره، ولا أستطيع نشره، وشاهدت فيهما من الوهب غاية لا يدرك مداها، ولا يبلغ أعلاها"

3ـ ويقول عنه أخوه الشيخ ماء العينين 1328هـ: " وأما سعد أبيه، فهو البحر الخضم، والفرد الأتم شمس الشموس، ومنى النفوس، وبدر البدور، وبحر البحور، بدايته كما قيل في أبيه:

بدايتـــه للواصـــلين نهايـــة نهايته فيها خصوصا تفردا

قام من صبوته قياما لا يستغرب فيه ما رأى، في كهولته لا يتبع أحد وصفا من أوصافه الحسان، إلا وأفنى أيامه ولم يفنه مدى الزمان، له عبادة لا توصف إلا بعبادة الملائكة، وسخاء لا يوصف به البحر للسفن السالكة، يعطي المائة على المائة والألف على الألف من غير اكتراث ولا ترياب، وفتح عليه في العلم، ولله الحمد، مذ هو صبي فتحاً يحير العقول، ولا تكيفه النقول.

كان إذا أراد أن ينظم نظم المئين على المئين في يوم واحد وليلة واحدة، ناظرهُ أهلُ زمانه، وألقوا إليه العويصات على أقرانه، فأفحم

25 الأسنة النافذة في رد البيعة الحادثة 12، مخطوط ص: 6.

أهل المناظرة، وأبان العويصات للناظرة، حتى أقر له بالفضل أهل بلده، وأذعن له أهل العصر بمدده، وتواليفه في كل العلوم، ولله الحمد، كثيرة، نظما ونثرا، ومفيدة شهيرة، وبالجملة لو تتبعت ما شاء الله مزاياه لاحتجتُ إلى مجلدات، وما أتيت على منتهاه، كان ممن قرأ عليّ، ولم أرَ ما شاء الله مثله فيما لدي، وكان من العلماء العاملين، والأولياء الكاملين، ضن الزمان، ولله الحمد، بمثله في العالمين، نرجو الله أن يرزقنا وإياه طول العمر في العافية والنعم الضافية، المشكورة، عاش إلى بعد أبيه، أطال الله حياته لنا، ولمن يرتجيه، وله أولاد ذكور وإناث".[26]

4 ــ ويقول عنه الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين في كتابه الأبحر المعينية: " وأما الشيخ سعد أبيه، فهو الإمام القدوة، الأعظم الشهير، والغطمطم الفياض بعوارف المعارف والهداية والإرشاد والتنوير، شهرته حفظنا الله وإياه في كل بلد ولا سيما في البلاد القبلية والسودان وما قارب الجميع، لا توصف هدى الله على يديه من الخلق، وأوصل بحضرته بطريقي الجذب والسلوك أعدادا لا تحصى ولا

26 الأبحر المعينية للشيخ النعمة عازيا لكتاب ضبط الإخوة والأخوات، للشيخ ماء العينين وهو مفقود، ص 22

تكيَّف، ولمواريده وغيرهم تآليفَ في أخباره كثيرة، ومدائح تتداولهما الناس شهيرة."[27]

5- ويقول عنه العلامة الكبير المجلي في كل ميدان الشيخ امربيه ربه: "الشيخ سعد أبيه هو ولي الله النبيه، من إخوة شيخنا ــ الشيخ ماء العينين ولد عام ثمانية وخمسين بعد المائتين والألف، وتوفي عام خمسة وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، كان من العلماء العاملين، والأولياء الواصلين، فهو الإمام القدوة الشهير، الفياض بمعارف الإرشاد والتنوير، رفع الله صيته، ولا سيما في البلاد القبلية والسودان وما والاهما، وهدى الله على يده من الخلق، وأوصل لحضرته بطريقي الجذب والسلوك أعدادا مديدة وأمدادا وتفرة مديدة".[28]

5 ــ عبد الرحمن بن محمذن فال بن متالي ت 1322هـ، قال في الثناء عليه:

لقد فزتم بالفضل عن كل فاضل فما فاتكم غير النبوءة من فضل
محط رحال الراغبين وشدها إليكم وإعمال المُخَيَسَةِ البزل
سلام عليكم ما أضاءت علومكم حنادس ليل المشكلات من النقل
وما نال أمنا محتم بحماكم وما فاز بالمأمول منكم أخو سؤل

6ــ العلامة محمد فال ولد محمذن ولد أحمد ولد العاقل (ببها) تـ: 1334هـ:

---

27 نفس المصدر ص 21

28 قرة العينين ص 46

مطلع الغرب لاح ويحك فيه سعد خير مذ لاح سعد ابيه
سعد خير ينمى الى كل سعد زاخر اليم اريحي نبيه
نال ما نال في صباه ولما يعد عشرا مضت له من سنيه
قل لمن قال إن للغوث ندا أو شبيها في قطرنا أرنيه

7ــ العلامة المختار ولد ألما:

بمراق السعود مرقى السعود وسليل الكرام نفحة عود
أتحف الهائم المشوق إليكم بمراق السعود مرقى السعود
نشر البند فوقه فتسامى إن نشر البنود نشر البنود.

8ــ الشيخ بابه بن الشيخ سيدي 1242هـ:

إن هذا التسليم يا ناظريه أحسن الشيخ فيه سعد أبيه
بان فى نثره الصواب وأما نظمه فالبيان قد بان فيه
حاسديه رويدكم قد تعبتم قصروا عن مداه يا حاسديه
من يكن من بنى النبي انتسابا واتباعا فإنه من بنيه
وانتقاص تشبيه غير شبيه فى العلى كلها بغير شبيه
ينتهى القول دون مبلغ حبر كامل الفخر فى الورى منتهيه.

المبحث الثالث : دراسة الكتاب

يعتبر كتاب كاشف حجب الأستار في الفرق بين الليل والنهار للعلامة الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين من

أبرز الكتب العلمية التي تعكس حقيقة الموسوعة العلمية التي مُنحها علماء الشناقطة بشكل عام، والمكانة العلمية التي نالها الشيخ سعدأبيه بشكل أخص، حيث يزخر هذا الكتاب بفوائد عديدة متنوعة مفيدة، وقد حرصت على تحقيقه تحقيقا علميا متقنا، حيث قارنته على نسختين مختلفتين، كل منهما خطها جيد ويمكن قراءته إلا أن النسخة (ب) يوجد في بعض كلماته محو يسير يمكن قراءته.

أيضا لم يكتب في النسختين اسم صاحب الخط، ولا ذكر أمهات النسخ التي تم نقل المتن منها، إلا أني بحكم مقارنتي الخطَين مع الخطوط المتداولة في الفضاء المعرفي بالمنطقة ترجح عندي أن النسخة (أ) بخط العلامة محمد بن ناصر الدين الديماني أحد أبرز الشخصيات العلمية الملازمة للشيخ الطالب بوي بن الشيخ سعد أبيه، أما النسخة (ب) فأرجح أن تكون بخط العلامة الشيخ محمد الحسن بن أحمدو الخديم، هذا ما ظهر لي والله تعالى أعلم.

وقد حاولت أن أقف على من عزى لهذا الكتاب ولم أجد إلا كتابا واحدا كان يعزو له وهو كتاب الباعث المساعد على الطهارة والصلاة والمساجد تأليف محمد المختار بن عابدين بن المختار بن امحمد الشنقيطي.

وتجدر الإشارة إلى أني بذلت جهدا كبيرا في البحث عن من سبقني إلى تحقيق هذا الكتاب، فلم أجد إلا ثلاثة عناوين كانت مذكرات تخرج وهي :

ـ تحقيق كشف الحجب / محمد يحيى بن سيدي أحمد 1997 المعهد الموريتاني للبحث العلمي,

ــ تحقيق كشف الحجب / أحمد بزيد بن محمدن معهد ابن عباس

ــ تحقيق كشف الحجب / أحمد عبد الله بن محمد الأمين 1985 - 1986 م المعهد العالي.

وقد حاولت كثيرا الوقوف على هذه الأعمال، لكنها ونظرا لقدمها نوعا ما بالنسبة لتاريخ البحث العلمي المنجز بالجامعات والمعاهد الموريتانية، وضعف الوسائل اللوجستية والتي بسببها تحفظ الأعمال العلمية في الأرشيف، لم أجد أي نسخة من هذه العناوين حتى عند المؤسسات التي أنجزت فيها، وقد يكون موافقة العنوان لكتاب لا يعتبر دليلا على أن المقصود عين هذا الكتاب، الذي نحن بصدد تحقيقه، وعليه فيكون هذا التحقيق أول تحقيق علمي لهذا الكتاب يطبع، حتى أنه أول تحقيق علمي لمؤَلَف من مؤلفات الشيخ سعد أبيه.

مما يستفاد من هذا الكتاب بعض المعلومات التاريخية والاجتماعية واللغوية والآراء وترجيحات الشيخ سعد أبيه منها:

ــ أنه ألف هذا الكتاب وهو مشتغل في تفسيره للقرآن الكريم." وأنا كذلك في تفسير الكتاب العزيز في أشد اشتغال".

ــ أن الإمام أبا الحسن الأشعري مالكي المذهب، وقد بينت في التحقيق عند هذا المحل وجه حجية هذا الرأي.

ـ عزا لمولود ولد أحمد الجواد اليعقوبي قوله:

ــ ما ذل ما ذل من بالله عز وكم ذل العزيز بأعمام وأخوال
ــ كلما أصابه مرض ولو لم يكن من أمراض البرد نسبه إلى

الماء فيهجره ولا يعود إليه، بل ذلك **خروج على السنة وخرق للإجماع وبدعة لم يأت بها رسول الله ولا كتاب ولا سنة،**

ـ تعريفه للسنة بأنها " **والسنة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح"**

ـ أنه عرف البدعة تعريفا جامعا مانعا : **والبدعة ما حدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص والعام بأن يكون الحامل عليه مجرد الشهوة.**

ـ أن هذا بيت للفرزدق

حنّـت نَـوارُ ولاتَ هَنّـا حنّـت وبدا الذي كانتْ نَوارُ أَجنّتِ

ـ وصف النظم بأنه :الأعلام أشار به إلى ما في نظمه من محسنات الألفاظ والبديع وأنواع الجناس والتضمين، فقلَّما يوجد بيت لم يشر فيه إلى حديث أو حكم أو مثل أو شعر.

ـ تعقَّب الفيروزآبادي في تخطئته للجوهري بأن صاحب القاموس في موضع آخر قال مثل قول الجوهري " ثم إن صاحب القاموس مع تغليطه الجوهري أتى بما يوهم موافقته له حيث قال في مادة نشر التاشير كتابة الغلمان الكتاب".

ـ تحسره الشديد على هجر السنة وإهمالها، وترك الناس الامتثال وراءهم ظهريا، يقول في نص عجيب يترجم عن عظمة في قلب صاحبه، وحرصه على تطبيقه. "راجعون، فلو كان البكاء يفيد في هذا شيئا لبكينا على موت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا خلاف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدر السلف الصالحين فلم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تيمم إلا مرتين إحداهما حين نزلت

آية التيمم وهم على غير ماء والثانية تعليم لبعض من لم يحضر نزول آية التيمم ولم يرو عن الصحابة ولا عن التابعين أنهم صلت منهم جماعة كلها صلاة واحدة بالتيمم فضلا عن صلوات فبان أن غالب الناس اليوم على بدعة وضلالة".

ـ غوصه في بعض ما يقع لأهل الله من السادة العارفين، حيث عبر عن تلك المعاني بألفاظ تأسر الروح على طاولة الجمال والجلال والكمال فمن ذلك قوله: "وهذا المشهد الذي هو قرة العين في الصلاة قد يكون لبعض ورثته بحسب الإرث والتبعية لا بحسب التساوي والمعية ، لكن ذلك يختلف باختلاف أحوال الناس في مراتبهم فمن كان مشهده تجريد التوحيد وكمال التفريد **تكون قرة عينه في الصلاة لا بها** لما تضمنت من التجلي التام والشهود الحقيقي العام".

وقال أيضا " وأما من كانت منزلته دون ذلك وكانت ملائمته وموافقته في شهود النعم دون المنعم ووجود الفضل والكرم، فتكون قرة عينه بالصلاة لا فيها لكونه يراها نعمة من نعم ربه وتفضلا من سيده، فأهل الحال الأول هم المخلصون الذين زالت عنهم سلطنة العدو ودخلوا في إضافة الملك الحنان قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، لأنهم عبدة الحضرة لا أنهم عبيد النعم المحضة فمن زالت عنه سلطنة العدو في صلاته لم يحتج إلى مدافعته فيزول حديث نفسه ووسوسة عدوه كانت صلاته لا محالة ملزومة بالحضور والخضوع ودوام الخشوع، فتحصل له غاية اللذة والمشاهدة ويتحقق في حقه معنى قرة العين في الصلاة ، بخلاف صاحب المقام الثاني فلم يغب عن نفسه فضلا عن أن يرتقي إلى درجات البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث النفس ولا وسوسة

العدو فيأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قال تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾، فيحتاج لا محالة لمجاهدته ومدافعته فيشوش نعيمه وتتكرر لذته فيضعف في حقه معنى قرة العين"

فكان لسان حالهم ينشد في الصلاة قول كثير في عزة:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

فعزة عندهم ما ينالون في الصلاة من المشاهدة والتجليات والمعارف واللذائذ وقرة الأعين، وربعها الذي توجد فيه هو الصلاة، والقلوص كناية عن الهمة الآخرة، والمعنى اثنيا هممكم وأعرضا عن الدنيا والآخرة وابكيا في الصلاة حيث تحل وتنزل التجليات الإلهية فمن كان ذا بصيرة شاهد عزة هناك وتأنس بها وتلذ بحديثها ومناجاتها، ومن كان أعمى يظن أنها رحلت عن ديارها لأجل عماه فيجب الديار لأجل من ذكر له أنه كان يسكن.

ـ رد بأسلوب علمي بلاغي بطلان معنًى فقهي ذُكِر مجملا فكان ذلك تنظرا عميقا فقال : الإجمال في موضع التفصيل والإبهام في موضع البيان، وإطلاق في موضع التقييد والتعميم في موضع التخصيص مما يعده أهل البيان من مقبحات الكلام لأنه خلاف المقتضى ويعده أهل الأصول مما يخل بالحكم، يوجب نبذ اللفظ من أصله"

ومن ناحية أخرى فقد اشتمل هذا الكتاب على جوانب عزيزة من ترجمة شيخنا الشيخ سعدأبيه من ذلك أنه :

ـ أنه زار ولاتة اربع مرات كل مرة يمكث فيها حوالي عشرة ايام، وقصد في تلك الزيارات ضرح الولي الذي كان مؤسسا لمدينة ولاتة.

ـ أنه زار كدية ولاتة وتكانت ووقف عليهما مطلا على الحوض.

ـ ذكر أن الحوض هو مسقط رأسه وجال فيه جولانا.

ـ أنه لم يتمم في الحوض إلا نادرا وهذا في سياق بيان بطلان قول الناظم أن سكان الحوض حكمهم التيمم.

ـ أن غالب سكن أهله في الحوض بموضع اسمه الرك وخاصة عين الفتح ومحمودة.

كما اشتمل الكتاب على معلومات تاريخية وجغرافية نفيسة جدا عن بعض المدن الموريتانية، ربما يكون هذا الكتاب المصدر الوحيد فيها من ذلك :

ـ أنه أعطى حدود منطقة الحوض في الجهات الأربع فقال: "والحوض اسم جبل مستدير على هيئة حوض النخل بجانبه القبلي تكانت والغربي تشيت وجانبه المقابل للقبلي النعم والشرقي سك فكل جانب منه إن وقف عليه وافق تراءت له جوانبه كلها على هيئة الجفنة العظيمة".

ـ عرف بموضع محمودة فقال" وهي أضاة كبيرة مسيرة يوم طلا ونصف يوم عرضا لا تغور كالبحر وفيها السمك ولو كانت السفن هناك لأمكن سيرهن فيها"

ـ حيث ذكر حدود الحوض من جميع الجوانب فقال : ثم إن أقصى **الحوض** مما يلي تكانت هو اركيبة وقد أتيتها

تاريخ بناء مدينة تيشيت الذي كان على يد ولي سوداني من ماسنه؛ وكذلك قصة انشاء مدينة ولاتة وبعض خصائص أهلها وموقفهم من الأولياء، وأنهم لما ظهر شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين أذعنوا له جمعيا في حادثة لم يسبق وأن أذعنوا جميعا لولي قبله، على حسب عبارة المؤلف.

وأيضا قصة بناء مدينة النعمة وأنها قرية صغيرة تحتوي على مئة بيت، وذكر تاريخ بنائها سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف، كما ذكر مؤسسها مولاي اسماعيل، وأنه التقى به مازال صغيرا.

وذكر تاريخ محمودة الذي بناها شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين.

القبائل

ـ أن قبيلة السادة تنواجيو أهل طهارة.

ـ أنه سافر في رحلة جماعية كبيرة كانت على أنقاض حرب بين تكانت وبني حسان في الحوض، مما جعل الزوايا يلجئون لشيخنا الشيخ محمد فاضل من أجل أن يؤمنهم من شر الحرب وقالوا له إنه لا يؤمنهم إلا رحليه معهم، فاضطر للرحيل معهم

وكان شيخنا الشيخ سعدأبيه ممن سافر مع والده فكانت فرصه للاطلاع على أحوال الناس.

ـ أن القبيلة التي يقال لها انمادوهم قوم لا مكسب لهم إلا الكلاب يتصيدون بها ولا مسكن لهم إلا الكهوف في الجبال.

ـ الأدب

كما اشتمل على الحكايات الأدبية الظريفة منها:

ـ حكاية المبرد مع ابي صالح في قلب السين صادا روي أن المبرد عاده أبو صالح في مرض فقال مسح الله عنك ما بك فقال المبرد إنما هي بالصاد فقال السين تخلف الصاد فقال له المبرد أنت إذا أبو سالح لوح له بالسلاح كغراب ، وهو رقة ما يخرج من البطن يقال ناقة سالح، إذا أسلحت من أكل البقل وقوله ألم في آخر البيت فعل بمعنى نزل حذفت إحدى ميميه للوقف وبينه وبين ألم بمعنى الوجع الجناس اللفظي ولما كان المرض قد يكون من الماء وقد يكون من الهواء.

الطب

كما حوى هذا الكتاب دررا في علم الطب منها :

ـ قوله :"أن بعض المرضى الذين يمنعهم من الوضوء في حكم المعترض في باب الخيار الأنكحة حيث أنه يؤجل سنة حتى تمر عليه الفصول الأربعة فلعله يشفى أحدها، قال فالفصول أربعة كالطبائع وكل واحد يقابل طبيعة فالصفراء للصيف، والخريف للدم ، والشتاء للبلغم، والربيع للسوداء، فيجب على من به مرض أن يختبر الماء في أسابيع كل فصل مرة بعد مرة ، فإن من كان مرضه من البلغم مثلا فإذا انقطع

عنه الشتاء اختبر الماء في أسابيع الربيع، فإن قدر عليه فذلك وإلا اختبره بأسابيع الصيف، فلا بد أن يقدر عليه غالبا لأن الصيف صفراوي فهو مضاد للبلغم، فإذا لم يقدر عليه في الصيف علم أنه ليس من البلغم فلعله من السوداء فينتظر به الخريف لأنه دموي مضاد للسوداء".

ـــ ومنها قوله مبينا فوائد الإدهان :" والدهن أي من المعين على الطهارة تدهين الأعضاء لأنه يسد مسامها ومنافذ حتى لا يجد الماء والرياح منفذا إلى داخل البدن"

مصادر الكتاب:

ـ المقدمات الممهدات لابن رشد الجد

ـ شرح الحكم للمناوي

ـ إحياء علوم الدين للغزالي

ـ أسرار الصلاة للحكيم الترمذي

ـ الأنساب والد خالنا

ـ القاموس المحيط

ـ الميزان للشعراني

ـ النصيحة للإمام زروق

ـ تنقيح الفصول للقرافي

ـ رسائل الشيخ عبد العزيز المهدوي

ـ سنن النسائي

ـ شرح المدونة لأبي الحسن
ـ شيم الزوايا لليدالي

ـ صحيح البخاري
ـ صحيح مسلم
ـ فتح القدوس في شرح خطبه القاموس احمد بن عبد العزيز الهلالي

ـ كشف الغمة للشعراني

ـ مختصر خليل
ـ مسند أحمد
ـ مواهب الجليل للحطاب

ـ نزهة المتأمل للسيوطي

صورة الصفحة الأولى من النسخة (أ)

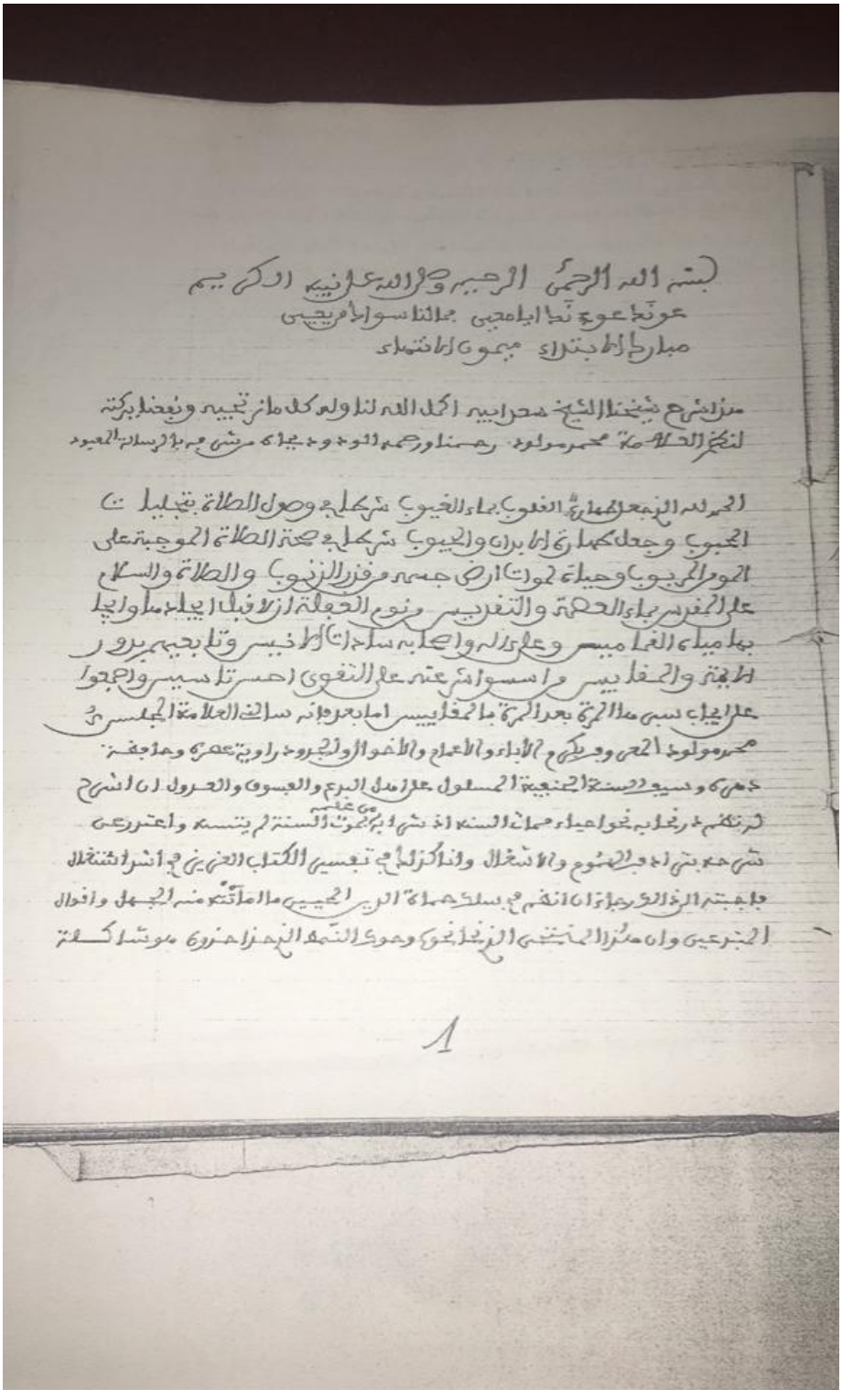

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

عونك عونة نبا يا مجيب جانا سوا لأمر يجيب

صبار لا بتراء ميمون لا انتماء

من شرح شيخنا الشيخ سعد أبيه أحمد الله تنا ولمن كان ما تربيه ونفعنا ببركته

لنظم العلامة محمد مولود رحمنا ورحمه الله ووفقنا لما يرضاه من بالإسلام المعبود

الحمد لله الذي جعل لحماة الغيوب بماء الغيوب سبحانه وصول الطلاة بتقبيل

الحبوب وجعل كمارق الأبران والجيوب سبحانه صحة الطلاة الموجبة على

الهود المريوب وحيانا تموت الأرض جسمه مغفر الذنوب والطلاة والسلام

على المغفور بماء الحكمة والتقديس منوع العقلة الزلا قبل إيلاد ما وإيلا

بماء الغمامين وعلى آله وأصحابه سادات الأخيس وتابعيهم بروز

الأبهة والمغاليس واستوانت عنه على التقوى أحسن تأسيس واجعلوا

على إيلاب سبب ما الحرة بعد الحرة بالمغاليس أما بعد فإنه سألني العلامة الجلسي

محمد مولود الحمى وبركم الأبناء والأعمام والأخوال والجدود راوية عصره وحاجفة

دهره وسيد أحسنة الجنبة المسلول على زمن البرع والعسوف والعرول أن أشرح

لهم نظمه رغبة منه في إحياء سنة النبي ﷺ بعد موت السنة لم يتنسه واعتذر عن

شرحه بتراكم الهموم والاشغال وأنا أكره لأخي تعسير الكتاب العزيز في أشر الاشتغال

فأجبته إلى ذلك رجاء أن ينفعني بسلك حماة الدين الحنيف ما أملته من الجهل وأفوال

المبتدعين وأن ينزل المنتهى الزلفى بجوه وحوك النعمة الزهراء مزوشاكلة

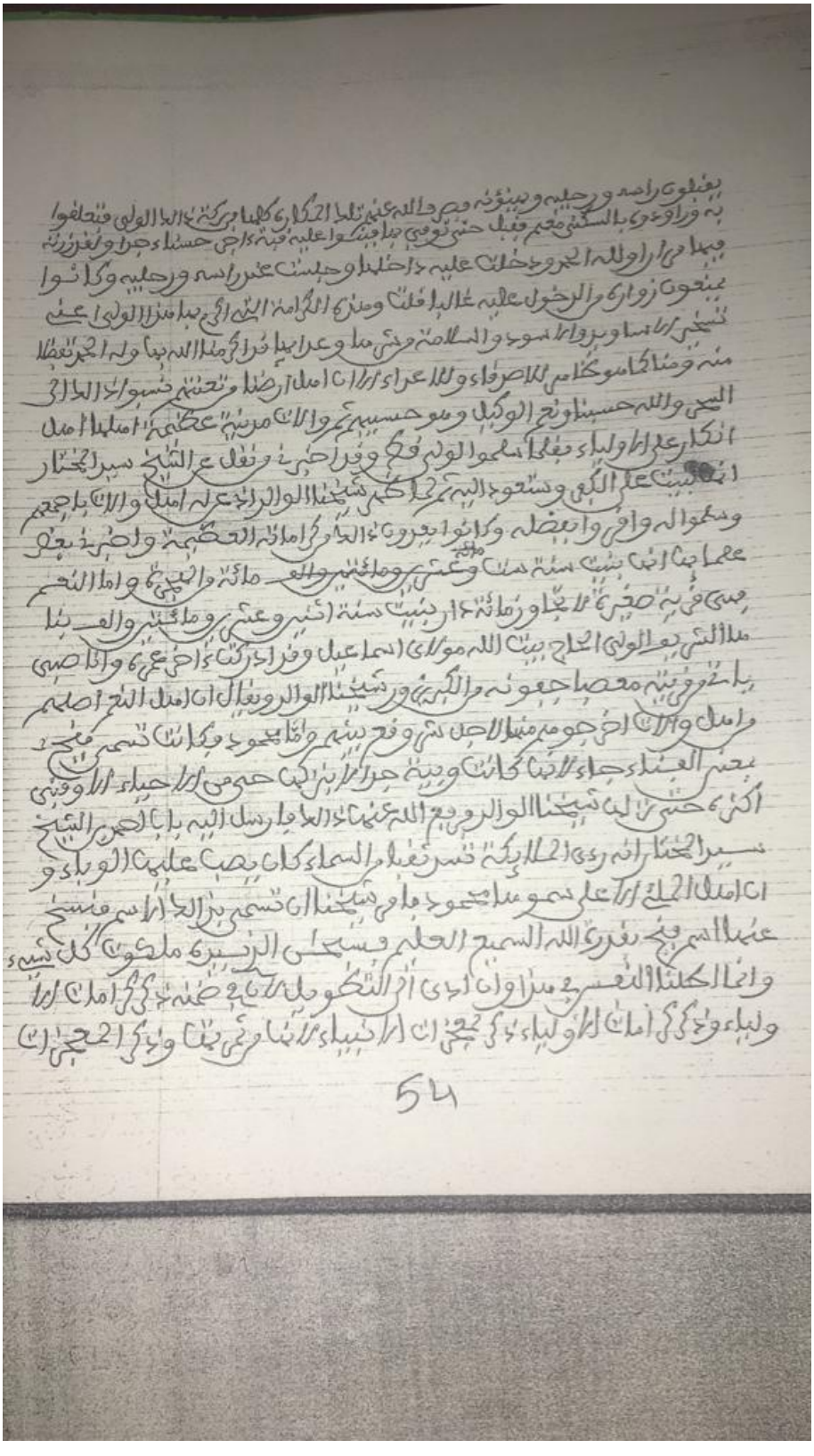

صورة من الصفحة الأخيرة من النسخة(أ)

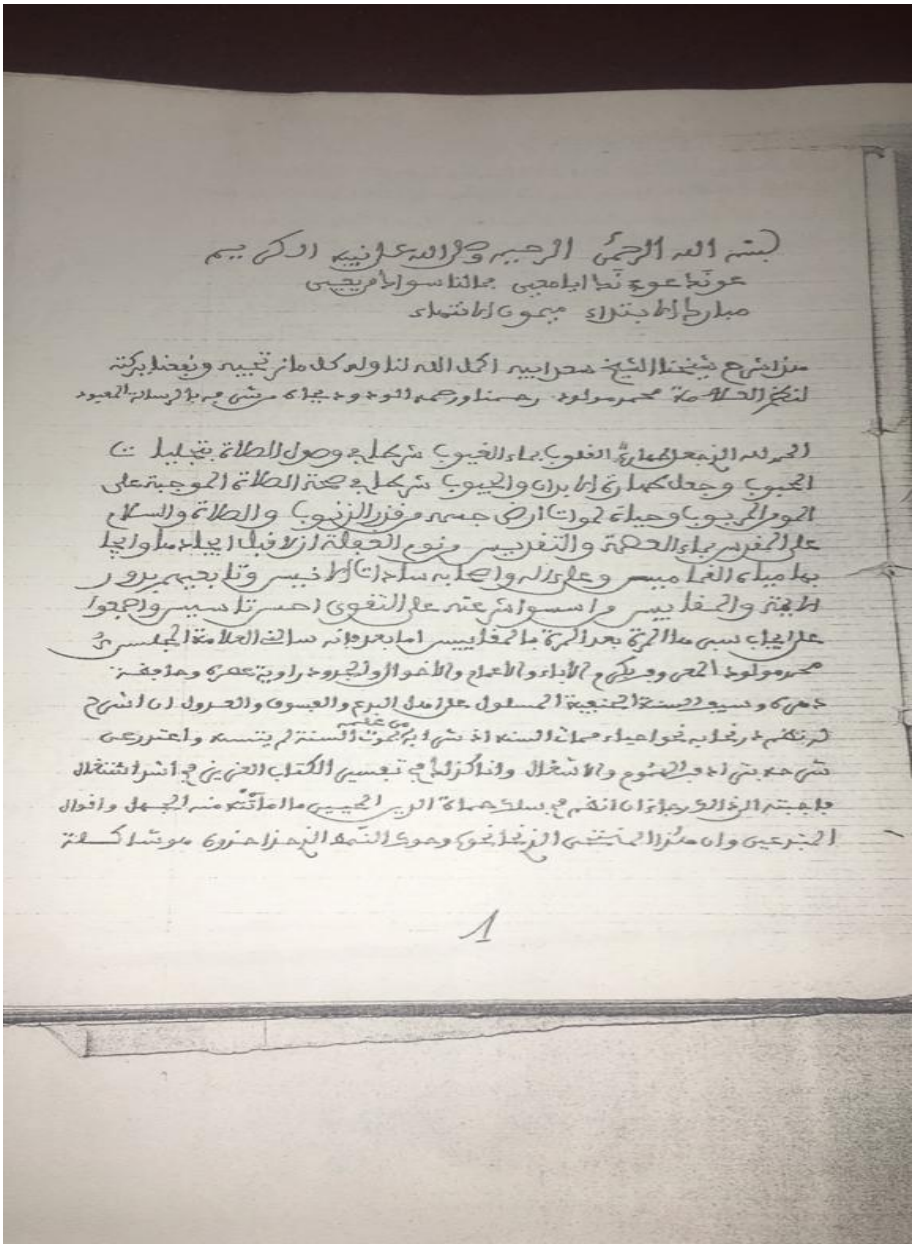

صورة من الصفحة الأخيرة من النسخة(ب)

الكتاب محققا

هذا شرح الشيخ سعدُ أبيه أكمل الله لنا وله كل ما نرتجيه، ونفعنا ببركته لنظم محمد مولود رحمنا، ورحمه الودود بجاه من شرفه بالرسالة المعبود:

الحمد لله الذي جعل طهارة القلوب بماء الغيوب، شرطا في وصول الصلاة بتجليات المحبوب، وجعل طهارة الأبدان والجيوب، شرطا في صحة الصلاة الموجبة على المومن المربوب، وحياة لموات أرض جسمه من قذر الذنوب.

والصلاة والسلام على المقدس بماء العصمة والتقديس، من نوم الغفلة أزلا قبل إيجادها وإيجابها مياه القماميس[29]، وعلى آله وأصحابه سادات الأنيس، وتابيعهم بدور الأئمة والمقابيس، من أسسوا شرعته على التقوى والطهارة أحسن تأسيس، وأجمعوا على إيجاب سبرها المرة بعد ال-مرة بالمقاييس.

أما بعد، فإنه سألني العلامة المجلسي محمد مولود[30] المعروف بكرم الآباء، والأعمام، والأخوال، والجدود، راوية عصره، وحافظة دهره، وسيف السنة الحنيفة المسلول، على أهل البدع والفسوق والعدول، أن أشرح له نظم در نحا به نحو إحياء ممات السنة، إذ شرابه

29 في تاج العروس والقِمّيسُ كسِكِّينٍ: البَحْرُ، نَقله الصاغَانِيُّ، عَن ابنِ عَبّادٍ، ج: قَمَامِيسُ.

30 انظر ترجمته في قسم الدراسة.

من علمه بموت السنة لم يتسنه، واعتذر عن شرحه بتراد والهموم والاشتغال، وأنا كذلك في تفسير الكتاب العزيز في أشد اشتغال، فأجبته إلى ذلك؛ رجاء أن أنظم في سلك حماة الدين المحيين ما أماته[31] منه الجهل وأقوال المبتدعين.

ولأن هذا المنحى الذي نحا نحوه، وحوك النظم[32] الذي حذا حاذوه[33]، هو شاكلة الطهارة التي تعمل عليها، وناحية الصلاة التي تميل إليها، وربما أنكر علينا إدمان الطهارة بعضُ من أهل هذه البلاد جهلا منه وخسرانا، واعتقدوه من ضعف ديننا إيقانا، فتراءت فيهم قضية قتل عثمان ظلما وعدوانا؛ إذ قال فيهم أراه مني الباطل شيطانا.[34]

فها أنا، بعون الله وتأييده وتسديده، وتوفيقه للحق وترشيده، أشرع فيه مشرعا إليه سنان اللسان بترجمان القلب[35] وبنان البيان، وثانيا مهر الفيض عن الجموح في الأطناب بالمثناة والعنان، بيد بهداته لا يزري به حسن الاختصاص عن التبيان، ولا الإجمال في مواضع البيان، وسميته:

---

31 في ب: ما أماتته:

32 في ب: النمط

33 في ب: وإن هذا المنتحى الذي نحا نحوه، وحوك النمط الذي حذا حاذوه

34 حيث ظنوا أنه ضال مضل.....

35 في ب: القلم

"كاشف حجب الأستار عن وجه رموز سلم الإظهار"

01 قَــالَ محمَــدٌ إِلَــى مَوْلَــودِ المُرتَجِي الغُفْرَانَ مِن ذِي الجُودِ
02 المَجْلِسِي البَاذْلي النَسَبِ الأَشْعرَي المَالكِي المذهَبِ

اسم الناظم محمد مولود، وقوله: إلى بمعنى مع، أي: هو مركب من الاسمين بن محمد بن المختار الملقب بامرابط أغشممت[36] بن حبيب الله بن أعمر بن محمد بن أحمد.[37]

وينتهي إلى عبد الله بن باذِلَ بن اك، ولم يجاوزه المعروف من نسبهم، إلا أن جميع المجلس ينتسبون إلى بني أمية، هكذا أخبرني الناظم، وقال: إنه نسي ما بين أحمد، وعبد الله بن باذل، والباذلي نسبة إلى باذل، وإنما سميت القبيلة المجلس لكثرة مجالس العلم فيهم؛ لأنهم أصل زوايا بلاد المغافرة، كما قاله اليدالي[38]، ووالد الديمانيان[39]،

---

36 أغشممت اسم بئر.

37 بن محنض المجلسي.

38 هو العلامة الشيخ محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي: 1096هـ - 1066هـ مؤلفاته التي ذكرها الأستاذ ألب ازيد بيه الحضرمي في موسوعة آثار أهل القطر الشنقيطي وجواره هي: أسماء أهل بدر رضي الله عنها – إكسير الحسنات (في فضائل الأعمال والعلم) – أمر الولي ناصر الدين – تسريح الصبيان – تقريب المعاني في علوم البيان والبديع والمعاني (شرح ضمني للإيضاح في علوم البلاغة للقزويني) – جوامع الكلم – الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى صلى الله عليه وسلم – خاتمة التصوف – خلق النبي صلى الله عليه وسلم وخلقه وخصائصه – دعاء ختم القرآن – الديوان (من 1600 بيت) – الذهب الإبريز في تفسير القرآن العزيز (= الدر الفريد في

تفسير القرآن المجيد) – رسالة السماع (حكم السماع عند المتصوفة) – رسالة النصيحة لبني ديمان (في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) – زين الدين في هدى خير المرسلين صلى الله عليه وسلم – شرح باب الردة من مختصر خليل – شرح خاتمة التصوف – شرح رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك – شرح صحيح البخاري – شرح المخمس – شرح نظم أسماء الله الحسنى (= شرح الدعوات على أسماء الله الحسنى) – شيم الزوايا (يقصد تشمشه) – صلاة ربي (= الميمية الصغرى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحها بالمربي على صلاة ربي وشرحها محمد (النابغة) بن عمر الغلاوي بفتح المربي) – الصوارم الهندوانية في رد شبه الجيم السودانية (موافقا فيه محمد بن الطالب الحبيب بن أيده الأمين الجكني (1151هـ في الأنوار المتقدة في الرد على الجيم المنعقدة على أنها متفشية غير شديدة مخالفين لأبي محمد سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي) – ضبط أوقات الزوال في بلاد القبلة (نظم) – فتاوى في الإرث والولاء (وهي في المناسخات صحح فيها مسائل من التركة في فتوى معقدة ومتشعبة عرضت عليه) – فتوى بأن الشرط لا يسقط بالنشوز (رد فيها على الطالب الحبيب بن أيده الأمين الجكني) – فتوى في اعتبار العم غير الموصى كالوصي – فتوى في الرجوع في هبة الثواب – فتوى اللفعة (وهي تتعلق بمنازعة على ناقة عليها ميسم الأفعى الذي يشترك فيه هو وابن أستاذه ألفغ الأمين بن ألفغ محمد (مِينَّحْنَ) بن مودي مالك وقد شهد المؤلف بأنه من باع الناقة لأهل صمب بن بابيَّ من آرويجيات فأرسل ألفغ الأمين يطلب منه غرم الناقة التي أتلفها عليه بشهادته وطلب منه التنازل عن الميسم الذي كان أقطعه إياه ألفغ محمد (مينحن) حتى غدا مشتركا معهم فيه، والفتوى تشمل رسالتين مفترقتين إحداهما إلى ألفغ محمد (مينحن) والأخرى لابنه ألفغ الأمين) – فتوى في ضمان ما أكلته الماشية (يرى فيها أن لا ضمان على أهل جهته المشتغلين فقط والمتمولين بالمواشي في ما أتلفته حيواناتهم من المزارع لا ليلا ولا نهارا موافقا في ذلك المصطفى بن المختار (اختيره) الحسني والمختار بن ألفغ موسى اليعقوبي) – فتوى في زكاة الخلطة – فتوى في عزل الواقف لناظر وقفه – فتوى في علامات سفه المرأة ورشدها – فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد (اختصره محمذ فال بن المختار سعيد بن

محمد اليدالي فحذف منه الفوائد والاستطرادات ومحضه لمسائل العقيدة ومباحثها، ونظم كثيرا من هذه الفوائد زين العابدين بن محمذ بن اجَّمد بن إدُومُاليدالي وأخوه أحمد) – الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس وعلم الجنس وعلم الشخص – قواعد العقائد – الكنز والكيمياء –محاذي خليل – مختصر شرح خاتمة التصوف – مذكرة في الحساب – المربي على صلاة ربي – مورد الظمآن في المحذوف من القرآن (في مئة وثمانية وعشرين بيتا) – نظم السبعة المطالب (أدلة حدوث العالم على طريق علم الكلام في خمسين بيتا) – نظم أسماء الله الحسنى (= دعوات على أسماء الله الحسنى) – نظم محاذي الأجرومية – نقلة في الطب – واضح المذاهب في سيرة المختار خير واهب صلى الله عليه وسلم (= نظم نسب آل البيت من الحلة السيرا في معرفة أناب العرب وسيرة خير الورى صلى الله عليه وسلم) – وسيلة السعادة الكبرى في صلاح الدين والدنيا والأخرى في الصلاة على شفيع الورى صلى الله عليه وسلم (اختصار لدلائل الخيرات وشوارق الأنوار للجزولي).

39 محمد (والد) بن المصطفى (خالنا)بن الفاضل (الفالي) بن المختار بن اكد عثمان الديماني: 1212هـ

مؤلفاته في موسوعة آثار أهل القطر الشنقيطي وجواره هي: أنساب تشمشه – أنظام بالصنهاجية –تاريخ والد بن خالنا (منظومة في وفيات أعيان عصره من منطقة القبلة) – تأليف في أنساب قبائل الصحراء القصوى – الديوان – شفاء الغليل وراحة العليل بشرح مختصر خليل (معين والد، جزآن) –فشتاليات – قصيدة في الابتهال (في ألف وعشرين بيتا) – قصيدة (كرزة في التوسل بالصنهاجية على وزن العروض الحساني، أولى) – قصيدة (كرزة في التوسل بالصنهاجية على وزن العروض الحساني، ثانية) – كرامات أولياء تشمشه – ميمية في الابتهال (في ألف بيت) – نظم شيم الزوايا لمحمد اليدالي.

والأشعري نسبة إلى إسماعيل بن بشر، إمام أهل السنة في العقائد من نسل أبي موسى الأشعري[40] صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فنُسِبَ إلى جده، وقد ألَّف تصانيف كثيرة[41] في رد ما ابتدعته الملحدون

40 نسبه هو علي بن اسماعيل بن أبي بشر بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

41 يعتبر البحث حول توثيق نسبة كتب أبي الحسن الأشعري، رحمه الله، اشكالا علميا كبير يترتب عليه قضايا محورية في البناء المنهجي للعقيدة الأشعرية المعروفة اليوم، فقد نقل الإمام ابن الفورك في كتابه مجرد مقالات الأشعري عن ابي الحسن الأشعري نفسه في كتابه العمد أسماء مؤلفاته التي كتبها قبل كتابه هذا، وذيل ابن فورك بما ألفه الأشعري بعد تأليفه العمد، ويبلغ مجموع ذلك ثلاثين كتابا.

وقد ذيل أيضا ابن عساكر في تبيين كذب المفتري قائمة من الكتب الأخرى التي اطلع هو عليها أو نقلها عن العلماء، فكان مجموع ذلك أكثر من ثلاثمئة مصنف، ولم يبق من عناوين هذه الكتب إلا 97 عنوانا.

أما الكتب التي وصلتنا من هذا الكم الكبير فهي:

1/ الإبانة كتاب مختصر تناول بعض أبواب العقيدة على منهج مخالف للجمع بين العقل والنقل، ويقرب من طرح الإجراء على الظواهر، مما جعل كثيرا من العلماء والباحثين يشكك في نسبتها له، خاصة أنه لم يذكرها أبو الحسن نفسه في العمد ولا ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري؛ إلا أنه عزى ابن تيمية في كتابه نقض التأسيس أنه ذكره في مصنَّف له اسمه "مجرد مقالات اب كلاب" وهذا الكتاب مفقود غير موجود.

ومما يثير الاستغراب أن أقدم نسخة مخطوطة في العالم للإبانة مكتوبة سنة 1048هـ، توجد في مكتبة روان كوشك بتركيا، وهذا التاريخ متأخر جدا عن عصر أبي الحسن الأشعري، مما جعل بعض الباحثين يقطع أنها تعرضت للتحريف، وقد طبعت الإبانة عدة مرات أحسنها كان بتحقيق الدكتورة فوقية احسين.

2/ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع وهو أحد أكثر كتبه دقة وتقعيدا للمنهج الأشعري وهو مجمع على نسبته إليه، وقد عزا له كل تلامذته وأئمة مذهبه، واقتبس منه كثيرا ابن فورك وشرحه الباقلاني، وتوجد نسخته الأصلية في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت وقد كتبت في القرن السادس الهجري، وقد طبع مرات أقدمها منتصف القرن الماضي بتحقيق الدكتور حموده غرابة.

3/ رسالة إلى أهل الثغر وهو ليس ببعيد من منهجه في الإبانة وقد شكك بعض الباحثين في نسبته إليه، وذلك لأن أئمة المذهب لم يعتمدوا عليه ولا يعزون له، ومما يجعل أكثر من نقطة استفهام حولها أنه ذكر فيها سنة 267هـ، هي على القول بأنه ولد سنة 270هـ، تكون قبل ميلادهـ وعلى القول بأنه ولد سنة 260هـ، فإنه يكون حينئذ لم يزد على سبع سنين، وأقدم نسخة للرسالة متأخرة جدا حيث كتبت سنة 1084هـ، وقد طبعت عدة طبعات.

4/ مقالات الإسلاميين كتاب يعنى بذكر مذاهب الفرق العقدية وآرائها وقد ذكره ابن الفورك واقتبس منه وسماه المقالات، ولم أر من شكك في نسبته مع طعن غمز بعض الباحثين بأنه تعرض للتحوير في بعض المواطن، وقد ادعى المستشرق ألار أنه عبارة عن ثلاثة كتب هي " المقالات" دقيق الكلام" كتاب الأسماء والصفات" وهذا مما لا دليل عليه، وقد طبع الكتاب عدة طبعات.

5/ استحسان الخوض في علم الكلام أو الحث على البحث، وهو كتاب يرد على من يعتبر علم الكلام علما مبتدعا في الدين لم يعرف عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أصل للكلام على علم الكلام بالأدلة العقلية والنقلية، وقد ضمنه أبو القاسم النيسابوري الأنصاري المتوفى 512هـ، كما توجد نسخ مخطوطة له قديمة منها ما هو مكتوب سنة 874هـ، برقم 2162، لذا فلا عبرة لمن شكك في نسبته إليه، وقد طبعت عدة طبعات علمية.

6/ مسألة الإيمان وتمتاز هذه الرسالة بأنها اهتم بها المحدثون ويروونها بأسانيدهم إلى ابي الحسن الأشعري، وقد ذكرها ابن حجر العسقلاني وتوجد نسخة منه قديمة كتبت في القرن الثامن توجد في مكتبة تشستريتي، وقد نشرها المستشرق سبيتا، ولم تطبع بعد

ذلك؛ هذه هي مصنفات أبي الحسن الأشعري المطبوعة والمتداولة وأهم ما يتعلق بها من معلومات، والذي يصدق عليه ما وصفه به الشيخ سعد أبيه من أنه " رد ما ابتدعته الملحدون من الزيغ في صفاته تعالى وفي إثبات القواعد المستقيمة، فلما ظهر لعلماء السنة ذبه عن الدين تعلقوا بكتبه ومذهبه فنسبوا إليه "هو اللمع واستحسان الخوض في علم الكلام.

وقد جرد الأستاذ الب أسماء مؤلفاته في كتابه المعجم الشامل لمؤلفات علماء الإسلام: الإبانة عن أصول الديانة – الاجتهاد في الأحكام – الاحتجاج – الأخبار وتخصيصها – اختلاف الناس في الأسماء والأحكام والخاص والعام (يظهر أنه في أصول الفقه وقواعد تفسير النصوص) – أدب الجدل – الإدراك في فنون من لطائف الكلام – استحسان الخوض في علم الكلام – الاستشهاد على ما يلزم المعتزلة على محجتهم والاستشهاد – الاستطاعة في نقض استدلالات المعتزلة – اعتراض الدهريين في قول الموحدين وبما فيه مقنع للمسترشدين – اعتلال من زعم أن الموت يفعل بطبعه – أفعال النبي صلى الله عليه وسلم – إلى أهل الثغر – الإمامة – إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان – الإيمان – باب شيء – باب الوعيد – بيان مذهب النصارى – التبيين عن أصول الدين – تفسير القرآن الكريم – تفسير القرآن والرد على من خالف القرآن من أهل الإفك والبهتان – الجسم – جمل المقالات (= جمل مقالات الملحدين وجمل أقاويل الموحدين = مقالات غير الإسلاميين) – جواب الخراسانية – جواب على مسائل الجبائي في النظر والاستدلال وشرائطه – جواب مسائل لأبي هاشم – جوابات الأرجانيين – جوابات الإرجائيين – جوابات الجرجانيين – جوابات الخراسانيين – جوابات الدمشقيين – جوابات الرامهرمزيين – جوابات السيرافيين – جوابات الطبريين في فنون كثيرة من المسائل الكثيرة – جوابات العمانيين – جوابات المصريين – جوابات الواسطيين – جوابات أهل فارس – الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات (قال عنه: "نقضنا فيه كتابا كنا ألفناه قديما على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه فنقضناه وأوضحنا بطلانه") – جوابات مسائل أهل الثغر – جوابات مسائل أهل الجبائي في النظر والاستدلالات – جوابات مسائل لأبي القاسم

– جواز رؤية الله تعالى بالأبصار (يستدل فيه لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بجوازها يوم القيامة ويرد على المعتزلة القائلين بنفيها وإنكارها) – الجوهر في الرد على أهل الزيغ والمنكر – الحث على البحث في الإيمان (رسالة) – الحسم عن مسائل الجسمية – خلق الأعمال (نقض فيه شبهات المعتزلة والقدرية في خلق الأعمال ورد عليها) – الدامغ للمهذب الخالدي – دلائل النبوة – الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن – الرد على الدهريين في اعتلالاتهم – الرد على الفلاسفة (يشمل ثلاث مقالات) – الرد على المجسمة والحشوية (الذين يثبتون لله تعالى صفات الأجسام من الحركة والانتقال والجلوس وغير ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى) – الرد على أهل التناسخ – الرد على أهل المنطق – الرد على حارث الوراق – الرد على الفلاسفة – الرد على مسائل سأل عنها أبو علي الجبائي – الرد على مقالات الفلاسفة – الرد في الحركات على أبي الهذيل – الرؤية – زيادات النوادر – شرح أدب الجدل – الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل (للمبتدئين) – شجرة اليقين – الصفات في الكلام على أصناف المعتزلة والجهمية (الكبير) – صفات الله عز وجل (كتاب كبير يبين مذهبه في الأسماء والصفات) – العجز عن الشيء غير العجز عن ضده – العمد في رؤية الباري – الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة والدين كالفلاسفة والدهريين وأهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر على اختلاف مقالاتهم وأنواع مذاهبهم (ورد فيه أيضا على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس) – الفنون (في أبواب من الكلام) – الفنون في الرد على الملحدين – القامع لكتاب الخالدي في الإرادة – القياس (إثبات أن القياس يختص بظاهر القرآن) – الكشف وإيضاح اعتراضات الجبائي في كتبه – الكلام على النصارى مما يحتج به عليهم من الكتب – اللمع الصغير في المدخل إلى اللمع الكبير – اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع – اللمع الكبير في المدخل إلى إيضاح البرهان – متشابه القرآن – مجالسات في خبر الواحد وإثبات القياس – المجرد في الرد على اعتراضات الدهريين في قول الموحدين – المختزن في مسائل المخالفين – المختصر في التوحيد والقدر – المختصر في القرآن – المختصر في المدخل إلى الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل – مذهب المجسمة وما يحتجون به – المسائل المنثورة البغداديات –

من الزيغ في صفاته، تعالى، وفي إثبات القواعد المستقيمة، فلما ظهر لعلماء السنة ذبُه عن الدين تعلقوا بكتبه ومذهبه فنَسبوا إليه، وكان مالكيَ المذْهب[42]، وهو من أهل القرن الثالث، وتوفي في أول القرن الرابع ببغداد[43].

مسائل جرت مع أبي جعفر المالكي في علة الخمر – مسائل سأل عنها أبو علي الجبائي في الأسماء والأحكام – المسائل على أهل التثنية – المعارف – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (لعله مقالات المسلمين وجميع اختلافاتهم) – مقالات الفلاسفة – مقالات المسلمين وجميع اختلافاتهم (يستوعب جميع اختلافاتهم ومقالاتهم، ولعله مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) – المقدمة في التوحيد – المنتخل من المسائل المنثورات البصريات – الموجز (يشتمل على اثني عشر كتابا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها) – نفي كتاب الخالدي في نفي خلق الأعمال – نقض الخالدي في نفيه لرؤية الله تعالى بالأبصار – نقض المضاهاة على الإسكافي – نقض شرح الكبائر (= نقض شرح كتاب) – النقض على ابن الراوندي في إبطال التواتر – النقض على البلخي – النقض على نقض تأويل الأدلة على البلخي – نقض كتاب الآثار العلوية على أرسطاطاليس – نقض كتاب الأصول للجبائي (يعني أبا علي محمد بن عبد الوهاب) – نقض كتاب البلخي الذي يصلح غلط ابن الراوندي – نقض كتاب التاج على ابن الراوندي – نقض كتاب الخالدي في اللفظ والقرآن والصفات – نقض كتاب اللطيف على الإسكافي – نقض كتاب داوود بن علي الأصفهاني في مسألة الاعتقاد – نقض كتاب عباد بن سلمان في دقائق الكلام – نقض كتاب علي بن عيسى – النوادر في دقائق الكلام – الوقوف والعموم.

42 رجح الشيخ سعدُ أبيه الرأي السائد عند علماء الغرب الإسلامي من أن أبا الحسن الأشعري مالكي المذهب، وهذا القول قال به أبو عمران موسى الجزولي في كتابه "اختصار المباحث العقلية" حيث قال يقصد أبا الحسن "وهو مالكي المذهب، ومذهب

و أما الإمام مالك، فهو أبو عبد الله بن أنس بن أبي عامر الأصبحي[44] من أذواء اليمن أي: ملوكها [45]،إمام دار هجرة رسولِ الله،

مالك في العراق" وذات الأمر ذهب إليه الحسن بن محمد الهداجي الدرعي في "شرح أم البراهين" قال " مالكيَّ المذهب، وإليه تنسب جماعة أهل السنة ويلقبون بالأشاعرة والأشعرية".

إلا أن أغلب الباحثين يرون أن أبا الحسن الأشعري شافعي المذهب كما في مصادر ترجمته ونص على ذلك ابن السبكي في طبقات الشافعية، ثم إنه لا يعرف له شيخ في الفقه المالكي، والحقيقة أنه كان مرنا في آرائه الفقهية مما جعل كل من أصحاب المذاهب الأربعة ينسبه إلى أنه من أتباع مذهبه.

ويرى الدكتور حموده غرابة أن علماء الغرب الإسلامي شوش عليهم تبني الإمام الباقلاني للمذهب المالكي، وهو إمام في علم الكلام، فقاسو عليه أبا الحسن، وهذا الغلط قد يقع فيه البعض لكن يستحيل أن ينطوي على علماء كبار بهذا الحجم.

43 توفي سنة 324هـ.

44 في سير أعلام النبلاء 48/8 أنه " أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري، ثم الأصبحي"

أما حمير الأصغر ففي نهاية الأرب في فنون العرب أنه ابن " حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع" بن حمير بن سبأ، وقد أوصل ابن الكلبي نسبه إلى نوح عليه السلام، وقد سئل مالك عن الرجل يصل نسبه إلى آدم فكره ذلك، وقال من أين يُعلم ذلك.

مؤلفاته كما المعجم الشامل: التفسير لغريب القرآن (يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي) – رسالة إلى الليث في عمل أهل المدينة – رسالة إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ (يرى الكثيرون أنها موضوعة) – رسالة في الأقضية (عشرة

صلى الله عليه وسلم، ومهبط الوحي، وهو المراد عند الجمهور[46] بقوله صلى الله وسلم: «يوشك أن يُضْرَب أكباد الإبِلِ شرقا وغربا»،

أجزاء، أرسل بها إلى بعض القضاة) – رسالة في الفتوى (أرسلها إلى أبي غسان محمد بن مطرف) – رسالة في القدر والرد على القدرية إلى ابن وهب – سبعون ألف مسألة لمالك – السير (رواية القاسم) – ما روي عن مالك من التفسير (مؤلف لمكي بن أبي طالب القيسي) – الموطأ – النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر.

45 هذا هور رأي جمهور المؤرخين حتى نقل عليه الإجماع، قال القاضي عياض "لم يختلف علماء النسب في نسب مالك هذا واتصاله بذي أصبح إلا ما ذكر عن أبي إسحاق وبعضهم من أنه مولى لبني تيم وهو وهم له سبب وذلك لما كان بين سلفه وبينهم من حلف على الأشهر من صهر أو منهما جميعاً" وقال ابو عمرو بن عبد البر " قال أبو عمر بن عبد البر: "لا أعلم أن أحداً أنكر أن مالك بن أنس ومن ولده كانوا حلفاء لبني تيم بن مرة ولا خلاف فيه إلا ما ذكر عن بن إسحاق أنه من مواليهم" الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص58.

46 هذا هو مذهب الجمهور " قال سفيان بن عيينة من غير طريق واحد: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس، وفي رواية هو مالك بن أنس ومثله عن ابن جريج وعبد الرزاق وروي عن سفيان أنه قال كنت أقول هو ابن المسيب حتى قلت: كان في زمن ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقو إنه مالك.... وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: أما أنه لا ينازعنا في هذا الحديث أحد من أرباب المذاهب؛ إذ ليس منهم من له إمام من أهل المدينة.. وذلك أنه عاش حتى لم يبق له نظير بالمدينة." ترتيب المدارك80/1.

قال خالنا العلامة محمد حبيب الله بن ميابى:

ووصفُهُ بعالم المدينهْ فيه من الفوائد الثمينهْ

أن حديث يوشكُ الذي اشتهرْ وكان في امتداحه نصا ظهرْ

ليس من المذاهب المُتّبعهْ مُنازعٌ فيه له فاتبعهْ

«ويوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما كعالم أعلم من عالم المدينة»[47].

وكان اعتماده، رضي الله عنه، في مذهبه على الكتاب والسنة[48]، وعلى عمل أهل المدينة إذ هم أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ[49]، وكانت

إذ مالك عالمها والمنصرفْ لها في الاطلاق سُماه فاعترفْ

ولم يقع ضربٌ لأكباد الإبلْ لغيره كمثل ماله فَعِلْ

ثم الإمام أحمد الشهم الرضا كان عراقيا وفيها قبضا

كذا أبو حنيفة المرضي والشافعي أصله مكي

وكان في مصر أخيرا سكنا إلى الوفاة وبها قد دفنا

وبالمدينة إمامنا استقر حياته ودفنه بها اشتهر.

47 قال يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما أعلم، وفي رواية من عالم المدينة وفي بعضها أباط الإبل مكان أكباد الإبل. هذا الحديث صححه الحفاظ من أهل الحديث حتى يشبع أن يبلغ حد التواتر، ومن بين من صححه:

فأما المصححون لهذا الحديث:

فقد قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

ووافقه الذهبي فقال على شرط مسلم، وقال الذهبي في معجم الشيوخ الكبير: هذا حديث عال صالح الإسناد ثم ذكر علل رواياته.

وقال ابن الملقن: حسن.

وقال ابن حجر العسقلاني: حسن.

وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (15/ 135): إسناده صحيح.

ويفهم من كلام ابن تيمية قبوله للخبر.

48 أصول الإمام مالك التي يستدل بها ستة عشر هي:

1- الكتاب

2- السنة

3- الإجماع

4- القياس

5- عمل أهل المدينة

6- المصالح المرسلة

7- الاستحسان

8- العرف والعادة

9- سد الذرائع

10- الاستصحاب

11- فتوى الصحابي

12- البراءة الأصلية

13- الاستقراء

14 الاستدلال

15- شرع من قبلنا

16- مراعاة الخلاف.

49 علم الناسخ والمنسوخ من الشروط التي لا بد منها للمجتهد وهو علم جمٌ تبنى عليه أحكام كثيرة، لذا كثرت تآليف العلماء فيه من ذلك: الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة 117هـ؛ ؛ الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، المؤلف: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري (المتوفى: 124هـ(،رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412هـ)؛ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)؛ الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)؛ الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو القاسم هبة

الأحكام تتجدد إلى وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان موصوفا بالعلم، والديانة، والاتباع، والعقل، والفضل، وكمال الإدراك، والإتقان.

اجتمعت الأمة على أمانته وجلالته، وعظم سيادته وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ وتعظيم حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان إذا أراد أن يحدث تطهر، وتطيب، ولبس أحسن ثيابه، وجلس متمكنا على صدر فراشه.

الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: 410هـ)؛ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)؛ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار

المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: 584هـ)؛ مصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)؛ نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)؛ قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن

المؤلف: مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (المتوفى: 1033هـ)؛ إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، وكل هذه الكتب مطبوعة متداولة.

وقد لازم ابنَ هرمز خمس عشرة سنة من الغدو، وإلى الزوال[50]، مع ملازمته لغيره، ومن كلامه، رضي الله عنه:

" العلم نَفُور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع[51]".

وقال: "ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب[52]".

وكان يقول: "ينبغي للعالم إذا كان يشار إليه بالأصابع، أن يضع التراب على رأسه، ويعاتب نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة، فإنه إذا اضطجع في قبره، وتوسد التراب ساءه ذلك".[53]

---

50 طبقات المفسرين؛ أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق 11هـ) لم أقف على تاريخ وفاته بالضبط، المحقق: سليمان بن صالح الخزي؛ الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية؛ الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1997م؛ ص 31.

51 ترتيب المدارك وتقريب المسالك المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) المحقق: جزء 1: ابن تاويت الطنجي، 1965 مجزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 مجزء 5: محمد بن شريفة جزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى عدد الأجزاء: 8

52 نفس المصدر 60/2،/؛ ونص كلامه" سمعت منصور بن إسماعيل الفقيه يقول: سمعت بحر بن نصر يقول: سمعت أشهب بن عبد العزيز يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يجعله الله تعالى في القلب". طبقات الصوفية للسلمي 221/1.

ومناقبه، رضي الله عنه، كثيرة، وإنما ذكرنا منها هذا تبركا فانظر لها إن شئت في الديباج المذهب في أخبار العلماء[54]، وفي تاريخ ابن خَلِّكان[55] فقد ذكرا منها ما يكفي ويشفي.

---

53 نفس المصدر ج61/2،

54ا انظر لديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور؛ الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة؛ عدد الأجزاء: 2 الجزء 1 ص 81، حيث تكلم عن نسبه و ذكر آله وبنيه و في مولد مالك ومدة عمله

وصفة خلقه ومنشئه وأدبه وعقله وحسن معاشرته ومطعمه ومشربه وملبسه وحليته ومسكنه وغير شيء من شمائله ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

وباب في ابتداء طلبه للعلم وصبره عليه وتحريه فيمن يأخذ عنه وشهادة أهل العلم والصلاح له بالإمامة في العلم بالكتاب والسنة وتحريه في العلم والفتيا والحديث وروعة وصفة مجلسه ونشره العلم وتوقيره حديث النبي صلى الله عليه وسلم،

وباب صفة مجلسه ونشره للعلم وتوقيره حديث النبي صلى الله عليه وسلم وتحريمه في العلم والفتيا والحديث.

وباب شهادة أهل العلم والصلاح له بالإمامة في العلم

وباب في ذكر الموطأ وتأليفه إياه وباب ذكر تآليف مالك غير الموطأ؛ فصل في أخباره مع الملوك، و ذكر وفاته واحتضاره وتركته، رحمة الله تعالى عليه وباب في مشاهير الرواة عن مالك رحمة الله تعالى عليه من شيوخه الذين تعلم منهم وروى عنهم.

55وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر – بيروت، الجزء 135/4.

قلت: وفائدة الانتساب إلى أهل المذهب ما ذكر الشعراني[56] في الميزان: "أن أئمة الفقهاء وأئمة الصوفية كلهم يشفعون في مقلديهم،

56 الشعراني*: الشيخ عبد الوهاب بن أحمد المحمدي العلوي الشعراني الشافعي (898هـ - 973هـ) مؤلفاته: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية – الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية – الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية – أدب القضاة – إرشاد الطالبين إلى معرفة مراتب العلماء العاملين – إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء – الاقتباس في القياس –الأنوار في آداب الصحبة عند الأخيار – الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية – الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية – الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية لابن عربي (= مختصر الفتوحات المكية لابن عربي = تهذيب الفتوحات المكية لابن عربي) – البحر المورود في المواثيق والعهود (المواثيق الصغرى) – البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير صلى الله عليه وسلم – البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف – بهجة النفوس والأسماع والأحداق في ما تميز به القوم من الآداب والأخلاق – التتبع والفحص على حكم الإلهام إذا خالف النص – تذكرة شهاب الدين أحمد سلاقة القليوبي الشافعي – تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا – تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء – تنبيه المغترين في آداب الدين – تنبيه المفترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر – الجواهر والدرر الصغرى – الجواهر والدرر في ما استفاده من شيخه سيدي علي الخواص (= الجواهر والدرر الكبرى) – الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون – الجوهر المصون والسر المرقوم في ما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم – حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام – حقوق أخوة الإسلام – درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص – الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المنشورة – الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع – ذيل لواقح الأنوار – ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى (= سر المسير والتزود ليوم المصير) – السر المرقوم في ما اختص به أهل الله من العلوم – السراج المنير في غرائب أحاديث البشير

النذير صلى الله عليه وسلم – شرح جمع الجوامع للسبكي – شرح وصية منح المنة في التلبيس بالسنة – الطراز الأبهج على خطبة المنهج – طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد – علامات الخذلان على من لم يعمل بالقرآن – الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح – الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين – فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب – فرائد القلائد في علم العقائد – القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية – القول المبين في بيان آداب الطالبين – القول المبين في الرد على الشيخ محيي الدين – الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر – كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان – كشف الغمة عن جميع الأمة – الكوكب الشاهق في معرفة المريد الصادق وغير الصادق – لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (= المنن الكبرى) – لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب – لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية – لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية = الطبقات الصغرى – لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار (جزآن) (= الطبقات الكبرى) – لوائح الخذلان على كل من لم يعمل بالقرآن – المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر – المختار من الأنوار في صحبة الأخيار – مختصر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي – مختصر الألفية لابن مالك – مختصر تذكرة الإمام السويدي في الطب – مختصر الاعتقاد للبيهقي – مختصر صفوة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي – مختصر فرائد القلائد في علم العقائد – مختصر قواعد الزركشي – مختصر المدونة في الفقه المالكي – مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين – مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية – مفحم الأكباد في بيان مواد الاجتهاد – المقاصد السنية في بيان القواعد الشرعية – المقتطفات من حاشية الكمال ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع للمحلي – المقدمة النحوية في علوم العربية – المنح السنية (شرح وصية المتبولي) – منح المنة في التلبس بالسنة – منع الموانع – المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه على الإطلاق – منهاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول – منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق – المنهج المبين في أخلاق العارفين – المنهج المبين في بيان أدلة

ويلاحظونهم عند خروج الروح، وعند سؤال الملكين، وعند النشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف.

ولما مات الشيخ ناصر الدين اللقاني[57] رآهُ بعض الصالحين في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له: لما أجلسني الملكان في القبر ليسألاني، أتاهما الإمام مالك فقال: أمثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله، تنحيا عنه فتنحيا عني" هـ [58]من الميزان، فانظر، يرحمك الله، ما فائدة الأئمة، وخاصة الإمام مالك، رحمه الله.

الأئمة المجتهدين – موازين القاصدين من شيوخ ومريدين – الميزان الخضرية – الميزان الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية – الميزان الصغرى – الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة والملة المحمدية – النور الفارق بين المريد الصادق وغير الصادق – هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين – اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر – = الطبقات الوسطى – عقيدة الغزالي –

57 اللقاني*: الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن حسن اللقاني المصري المالكي (958هـ): مؤلفاته حاشية على البدر الطالع شرح جمع الجوامع للمحلي – حاشية على شرح السعد التفتازاني على التصريف الغزي – حاشية على شرح السعد التفتازاني على العقائد – شرح خطبة مختصر خليل – طرر على التوضيح (مجلدان، جمعهما صاحبه القرافي).

58 الميزان 75/1 ؛ في نسخة الميزان التي حققها الدكتور عبد الرحمن محمود السعدي حذف لهذا النص.

وقوله: المرتجي الرجاء أمل وطمع يقارنهما عمل، وإلا فهو أمنية مذمومة ففي الحديث: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ[59]».

إن الأماني والأحلام تضليل[60]

أي: سواء في قلة الجدوى.

والغفران: ستر العيوب، والتجاوز عن الذنوب، قال ابن أبي ربيعة:

فَقُمْنَ يُعَفِّينَ آثارَنَا بأكْسِيَةِ الخَزِّ أنْ تُقْفَرَا

والجود: من صفاته، تعالى، وهو المتفضل بلا عوض، ولا استحقاق من العبد.

وبتر هذا النص تجنٍ علميٍ فاحش يخالف كل قواعد المنهج العلمي، وسبب للتعرض على العلماء واتهامهم بالكذب والتلفيق، كل هذا لحاجة في نفس يعقوب؛ وهذا النص الذي نقله الإمام الشعراني مما يتوصل إليه بالكشف والإيمان به ليس واجبا، مع أن النصوص والكليات الشرعية لا تتنافى مع هذا القول اطلاقا، بل ورد في النصوص ما يجعل هذا الرأي غير ممتنع وذلك أنه ورد.

59 سنن الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

60 شطر من لامية كعب ابن زهير وموضعها:

كانتْ مَواعِيدُ عرقوبٍ لها مَثَلاً وما مَواعِيدُها إلاّ الأباطيل

فَلا يغُرّنْكَ مَا مَنّتْ، وما وَعَدَتْ إنّ الأمَانيَّ والأحْلامَ تَضْليلُ

03 الحَمْدُ الذِي قَدْ عَظَّمَا أَمْرَ الصَّلاةِ بِاتِفَاقِ العُظَمَا

الحمد هو الثناء على مستحقه، ولا يستحقه حقيقة إلا الله، وال فيه لشمول أنواع الحمد والشكر والكلام عليه معهود في الكتب ولا نطيل بذكره؛ وفي البيت براعة الاستهلال، أي: تحسين الابتداء، وهو ابتداء الكلام بما يشير إلى مقصود منه؛ لأنه المقصود بالنظم الكلام على الطهارة التي هي شرط صحة الصلاة.

والعظماء: جمع عظيم من العلماء، بل الأنبياء والملائكة؛ لأنهم كلهم متفقون على أن الصلاة هي أفضل ما يعبد به الله، تعالى، لاشتمالها على جميع أعمال الظاهر من ذكر، وتلاوة، وحركات جميع الأعضاء، لابتغاء مرضاة الله، وبذل المال في اللباس والطهارة، وعلى جميع أعمال الباطن من الحضور، والخشوع، والتذلل، والخضوع.

04 أول مخبورٍ غَداً مِنَ العَمِلْ فتُتْرَك الأعْمَالِ إنْ لَمْ تُحْتَمِلْ

قوله: أول مخبور خبر مبتدأ محذوف، أي: هي الصلاة أول ما يختبر، ومخبور اسم مفعول من خبره كنصر بمعنى اختبره؛ وسدًى حال من الأعمال بمعنى فهملا، ولا يُثَنَّى، ولا يجمع قال حميد بن ثور يصف جمالا نواعم ترعى غير مقيدة:

فجاءَ بها الذوادُ يحْجُزُ بينَها سُدىً بينَ قَرْقارِ الهديرِ وأعْجما61

والذواد الرعي، ويحجر بينها أي: يرد بعضها عن بعض خوف العضيض من هياجها، والقرقار هو الذي يحبس الهدير، والأعجم ضده قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: مهملا يتصرف كيف شاء ولا يكلف بالشرائع؛ وأشار بالبيتين إلى ما في الإحياء أن «أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة، فإن وجدت تامة قبلت منه

---

61 الإبل، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: 216هـ)، المحقق: أ. د. حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر، دمشق – سورية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003 م؛ ص 162.

وهذا البيت من ميميته المشهورة التي عارضها العالم الشاعر محمد بن الطلبة اليعقوبي، وقال يوما في مجلس، أنشد فيه ميميته: أرجو من الله أني أنا وحميد بن ثور، ننشد، قصيدتينا في ناد من أهل الجنة، فيحكمون بيننا، ومطلع قصيدته:

تأوبه طيف الخيال بمريما فبات معنى مستجنا متيما

تأوبه بعد الهجوع فهاضه فأبدى من التهيام ما كان جمجما

لطاف بها حتى إذا النفس أجهشت وأبدت بنا نالي خضيبا ومعصما

ووجها كأن البدر ليلة أربع وعشر عليه ناصلا قد تهمما

تولى كأن اللمح بالطرف زوره وكان وداعا منه أن هو سلما

وسائر عمله»[62]؛ لأنها فرع من الصلاة إذ هي عماد الدين وخير الأعمال.

وقد قال، صلى الله عليه وسلم: «من لقي الله وهو مضيع لصلاته[63] لم يعبأ الله شيء من حسناته»؛ [64]

---

62 قال العراقي: رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن والحاكم وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي اهـ.

قال الزبيدي: تقدم قريباً حديث أنس عند الطبراني في الأوسط أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عمر أول ما افترض الله تعالى على أمتي الصلوات الخمس وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول ما يسألون عن الصلوات الخمس الحديث وأخرج أحمد وأبو داود ابن ماجه والحاكم عن تميم الداري أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة الحديث (وقال - صلى الله عليه وسلم -) لأبي هريرة (يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب).

قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قال الزبيدي: وهو من نسخة جمع فيها أحاديث يقول في أول كل منها يا أبا هريرة وهذه النسخة موضوعة باتفاق المحدثين إلا أن بعض ما فيها ما هو صحيح باللفظ أو بالمعنى كالذي نحن فيه فإن معناه صحيح لما أخرج عبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة ونحوه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية ما هو مذكور في الدر المنثور.

قال ابن السبكي: (6/ 294). حديث "يا أبا هريرة مر أهلك إلى الصلاة...) لم أجد له إسناداً، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد 1/329.

وقال، صلى الله عليه وسلم: «الصلاة عماد الدين»[65]؛

---

63 وفي رواية بعدم إقامة أركانها.

64 قال العراقي: لم أجده هكذا وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فإن فسدت فسد سائر عمله رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس اهـ.

قال الزبيدي: ورواه أيضاً الضياء في المختارة عن آنس بلفظ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وأن فسدت فسد سائر عمله وعند النسائي عن ابن مسعود أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضي بين الناس في الدماء.

قال ابن السبكي: (6/ 293) لم أجد له إسناداً.تخريج أحاديث إحياء علوم الدين 1/324.

65 قال العراقي: أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عمر قال الحاكم عكرمة لم يسمع من عمر قال وأراه ابن عمر ولم يقف عليه أبن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف اهـ.

قال الزبيدي: وقول النووي في التنقيح حديث منكر باطل رده الحافظ ابن حجر وشنع عليه ثم إن الذي خرجه البيهقي في الشعب هي الجملة الأول فقط وأما قوله فمن تركها الخ فلم أره وعند الديلمي عن علي الصلاة عماد الإيمان والجهاد سنام العمل والزكاة بين ذلك ورواه التيمي في الترغيب بلفظ الصلاة عماد الإسلام وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري في كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال جاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل عن الصلاة فقال: الصلاه عمود الدين وهو مرسل ورجاله ثقات وله طرق أخرى بينها الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف وتبعه السيوطي في حاشية البيضاوي * (تنبيه) * يوجد في كتب أصحابنا الحنفية هذا الحديث بزيادة جملة أخرى وهي فمن أقامها فقد أقام الدين وبهذه الزيادة يفهم وجه الشبه بين الصلاة والعماد أي الإقامة بالإقامة والهدم بالترك كما أن الخيمة تقام بإقامة عمدها وتهدم

وقال، صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان[66]»؛

وقال، صلى الله عليه وسلم: «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع، ومنهم ساجد، ومنهم قائم، وقاعد»[67]؛

بترك إقامته وكان هذا هو السر في عدم مجيء الأمر بالصلاة غالباً إلاَّ بلفظ الإقامة في الكتاب والسنة بخلاف غيره من الأوامر على ما لا يخفي والله أعلم.

66 قال العراقي: أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الطبراني والبيهقي في السنن ولفظهم جميعاً من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأبي بن خلف وأخرجه ابن نصر في كتاب الصلاة بلفظ خمس صلوات من حافظ عليهن كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له نور يوم القيامة ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف.

67 قال العراقي: لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: هو في القوت بلفظ وروينا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ساقه قال ويقال إن المؤمن إذا صلى ركعتين عجب منه عشر صنوف من الملائكة كل صنف منهم عشرة آلاف ثم قال فالقائمون صنف لا يركعون إلى قيام الساعة والساجدون لا يرفعون إلى القيامة وكذلك الراكعون والقاعدون.

قال ابن السبكي: (6/ 293) لم أجد له إسناداً.

وقال، صلى الله عليه وسلم: «من ترك صلاة متعمدا فقد كفر»[68]؛ وأوَّله الجمهور بأن معناه قارب أن يخلع بانخلاع عروته الوثقى، وهي الصلاة، وسقوط عماده كما يقال لمن قارب بلدة أنه قاربها ولما يدخلها.

وقال، صلى الله عليه وسلم: «المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى»؛ [69]

وقال، صلى الله عليه وسلم: «من صلى الصلاة لوقتها وأتم وضوءها وركوعها وسجودها وخشوعها عرجت، وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني، ومن صلاها لغير وقتها، ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت، وهي سوداء مظلمة تقول

68 قال العراقي: أخرجه البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال اهـ.

قلت: وعند الطبراني من حديث أنس من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً قال الهيتمي رجاله موثقون إلاَّ محمد بن أبي داود الأنباري فلم أجد ترجمته وذكر ابن حبان محمد بن أبي داود البغدادي فما أدرى هو أم لا اهـ وقال الحافظ الحديث سئل عنه الدارقطني فقال رواه أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولاً ووقفه أشبه بالصواب اهـ.

69 قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلاً وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: وكذا أخرجه الحاكم والديلمي ولكن لفظهم جميعاً الصلاة ميزان فمن وفى استوفى وفي القوت عن ابن مسعود وسلمان رضي الله عنهما الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين اهـ.

قلت: وقول سلمان هذا أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ابن فضيل عن عبد الله بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عنه.

ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه.»[70]؛

وقال، صلى الله عليه وسلم: « أسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته»؛ [71]

---

70 وفي نسخة العراقي من صلى الصلاة (لوقتها) ونص الطبراني من صلى الصلوات لوقتها (وأسبغ) لها (وضوءها وأتم لها (ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت) أي صعدت وعند الطبراني وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت (وهي بيضاء مسفرة) اللون (تقول) بلسان حالها (حفظك الله كما حفظتني ومن صلى الصلوات (لغير وقتها ولم يسبغ) لها (وضوءها ولم يتم) لها (ركوعها ولا سجودها عرجت) وعند الطبراني خرجت (وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق) أي القديم المستعمل (فيضرب بها وجهه) وعند الطبراني ثم ضرب بها وجهه.

قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف وللطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم أصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم أصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها.

71 قال العراقي: أخرجه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة الأنصاري اهـ. قلت: خرجه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ما ترون في الشارب والسارق والزاني قال وذلك

وقال، صلى الله عليه وسلم: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا شيء، قال: فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب، كما يذهب الماء الدرن» أي: الوسخ.

وقال، صلى الله عليه وسلم: «إن الصلواة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[72] اهـ من الإحياء.

ثم أومأ الناظم إلى فضل الصلاة في الجماعة فقال:

06 تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ فِي الجَمَاعَه خَيْرٌ مِن أَلْفِ نَاقَةٍ فِي الطَّاعَه
07 تَنْحَرُهَا وتُطْعِمُ المِسْكِينَا أكْرم بِدِينِ الهَاشِمِي دينَا

قبل أن ينزل فيهم قالوا الله ورسوله أعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق من صلاته قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها وأخرجه أبو داود والطيالسي وأحمد أيضاً. وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري قال الهيثمي فيه علي بن زيد مختلف في الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح وقال الذهبي إسناده صالح وقال المنذري رواه الطبراني في الثلاثة عن عبد الله بن مغفل بإسناد جيد لكنه قال في أوله أسرق الناس.

72 أخرجه الإمام أحمد وعبد بن حميد والدارمي ومسلم وابن حبان والرامهرمزي من حديث جابر ولفظه مثل الصلوات الخمس المكتوبة كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس وعند البخاري ومسلم نحوه وكذا محمد بن نصر من حديث أبي هريرة زاد البخاري: فذلك مثل الصلاة، وهو جواب لشرط محذوف أي إذا علمتم ذلك وأخرجه أبو يعلى عن أنس والطبراني عن أبي أمامة وعند الرامهرمزي من حديث أبي هريرة مثل الصلوات الخمس مثل رجل على بابه نهر جار غمر يغتسل منه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه.

أشار إلى ما روي في الحديث» أن تكبيرة الإحرام في الجماعة خير من ألف ناقة ينحرها الرجل، ويطعمها المساكين[73]».

وإنما أغيى بالإنفاق؛ لأنه من أعظم وجوه البر أجرا؛ لأنه يضاعف إلى سبعمائة ألف ضعف، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

فأتى به لينبه على كثرة أجر الصلاة في الجماعة، حيث كانت تكبيرة واحدة منها تفضل إنفاق هذا العدد الكثير من الإبل التي هي أشرف أموال العرب، وأحبها إلى الأنفس.

وفي الحديث أيضا «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[74]؛

---

73 هذا الحديث نقبت عنه فلم أجده، ولعل ذلك من قصوري وقلة اطلاعي.

74 أخرجه مالك وأحمد والشيخان في الصلاة والترمذي والنسائي عن ابن عمر وأخرج أحمد أيضاً والبخاري وابن ماجه من حديث أبي سعيد صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة وأخرج مسلم عن أبي هريرة صلاة الجماعة تعدل خمساً وعشرين من صلاة الفذ وأخرج أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة صلاة الرجل في جماعة وفي رواية في الجماعة تزيد وفي رواية للبخاري تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين درجة وفي رواية ضعفا ووقع في الصحيحين خمس وعشرين بالخفض بتقدير الباء الحديث وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد صلاة الرجل في جماعة

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من صلى أربعين يوما الصلاة في الجماعة لا تفوته تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار»[75]؛

تزيد على صلاته وحده خمساً وعشرين درجة فإذا صلاها بأرض فلاة فأتم وضوءها وركوعها وسجودها بلغت صلاته خمسين درجة وأخرج ابن ماجه من حديث زريق الألهاني عن أنس صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه الناس بخمسمائة صلاة الحديث قال الحافظ سنده ضعيف ومذهب الشافعي كما في المجموع أن من صلى في عشرة فله خمس أو سبع وعشرون درجة وكذا من صلى مع اثنين لكن صلاة الأوّل أكمل.

75 قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات اهـ.

قلت: وهكذا أورده صاحب القوت وقال وفي حديث أبي كامل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخرجه البيهقي كذلك ولفظه من صلّى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى والباقي سواء وصحح الترمذي وقفه على أنس وأخرج الإمام أحمد من حديثه وفيه زيادة ولفظه من صلى في مسجد أربعين صلاة صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق وعند البيهقي من حديثه أيضاً من صلى الغداة والعشاء الأخيرة في جماعة لا تفوته ركعة كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وأخرج عبد الرزاق من حديثه بلفظ من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوماً كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقد روى مثل ذلك عن عمر وأوس رضي الله عنهم أما حديث عمر فرواه ابن ماجه والحكيم الترمذي ولفظه من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله بها عتقاً من النار وعند البيهقي وابن النجار وابن عساكر من حديثه بلفظ من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة الظهر كتب له بها عتق من النار وأما حديث أوس بن أوس الثقفي فأخرجه الخطيب وابن عساكر وابن النجار ولفظه من صلى أربعين يوماً صلاة الفجر وعشاء الآخرة في جماعة أعطاه الله براءتين براءة من

ويقال: "إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم، وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة عليهم السلام، ما كانت أعمالكم فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد"[76]؛

وفي الحديث: «من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة»[77]؛

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنهم؛ فأحرقها عليهم بحزم الحطب، ولو علم أحد منهم أنه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلاة العشاء»[78]؛

النار وبراءة من النفاق وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن أبي العالية مرسلاً من شهد الصلوات الخمس أربعين ليلة في جماعة يدرك التكبيرة الأولى وجبت له الجنة.

76 إحياء علوم الدين149/1.

77 قال العراقي: لم أره مرفوعاً وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد ابن نصر في كتاب الصلاة اهـ.

قلت: ووجدت في العوارف ما نصه ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.

قال ابن السبكي: (6/ 294) لم أجد له إسناداً.

78 متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم.

وقال، صلى الله عليه وسلم: «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما»[79]،قاله في الإحياء[80].

وقال زروق[81]: "وفي الصحيح أن من صلى العشاء والصبح في جماعة لم يزل في ذمة الله حتى يمسي، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء.[82]

---

79 أخرجه مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا.

80 إحياء علوم الدين 147/1.

81 لم يترجم له بعد مؤلفاته أذكار – أرجوزة عيوب النفس ودواؤها (نظم فصول الإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412هـ)) – أصول الطريق ومبنى الطريق – أصول الطريقة (الأصول العشرة) – أصول الطريقة وأسس الحقيقة (الأصول الخمسة) – أصول القواعد في الطريقة الصوفية – إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين – اغتنام الفوائد في العقائد (شرح العقيدة القدسية للغزالي) – الأمهات (= الأصول البديعة والجوامع الرفيعة = أصول الطريقة الشاذلية) – البائية (ثمانية وعشرون بيتا من الطويل في أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم) – تأسيس القواعد (مثل قواعد التصوف) – تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول – التائية الزروقية (ستة عشر بيتا) – تحفة المريد وروضة الفريد وفوائد لأهل العلم السديد والنظر المديد – الترغيب في سكنى المدينة المنورة – تعليق على حزب أبي الحسن الشاذلي – تعليق على صحيح مسلم – تعليق على طريق التصوف – التعليق والتنقيح لما تضمنه الجامع الصحيح للبخاري (10 مجلدات، اقتصر فيه غالبا على ضبط الألفاظ للمحصلين لرياضة العلم والعمل) – تفسير القرآن العظيم – تفسير سورة الفاتحة – تلخيص الدرر المنتخبة في الأدوية المجربة (مختصر الطب لنصر بن نصر الذي كتبه لداوود بن الملك المنصور) – تمهيد في قواعد التصوف – تيسير المرام شرح عمدة الأحكام – الجامع لجمل من الفوائد والمنافع – جزء في علم الحديث – جواهر الإكليل في

نظم مختصر خليل – الحفيظة (حرز) – خصائص أسماء الله الحسنى – دعاء – ديوان شعر – الرحلة – رد الحوادث والبدع (رسالة في عشر ورقات) – رد على أهل البدعة – رسالة إلى بعض المريدين – رسالة إلى عبد الله المغراوي الليبي (مريده) – رسالة إلى عبد النبي الأصفر الليبي (مريده) – رسالة إلى كافة الفقراء – رسالة في أحوال التصوف – رسالة في أحوال الزمان – رسالة في التصوف – رسالة في التوحيد – رسالة في الحدود النحوية – رسالة في العقد بالأصابع (شرح لنظم في الموضوع) – رسالة في الوعظ – رسالة في الوعظ – رسالة في الوعظ – رسالة في علم الكيمياء (قريب من الكشف أو علم الصناعة) – الرسائل المصراتية – رسائل إلى السالكين – رسائل إلى الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي () الروضة (مجموعة قصائد) – روضة الأزهار (خواص أسماء الله الحسنى وتأثيرها) – سراج الحكم – سفينة النجا لمن إلى الله التجا – سلوك الطريق إذا فقد الصديق – السماع – شرح أبيات تطهر بماء الغيب لأبي القاسم الجنيد (277هـ) – شرح أسماء الله الحسنى – شرح الأجرومية – شرح الأربعين حديثا – شرح الإعلام بقواعد الإسلام لأبي الفضل موسى بن عياض اليحصبي (554هـ) – شرح الأوجلي – شرح الحزب الصغير – شرح الحقائق والدقائق لمحمد بن أحمد المقري التلمساني (759هـ) – شرح السينية للشيخ أحمد التجيبي البجاوي (638هـ) – شرح الشريشية (= شرح أنوار السرائر لتاج الدين البكري الشريشي (641هـ) في التصوف، وهي رائية) – الشرح الصغير لرسالة ابن أبي زيد القيرواني –الشرح الصغير للقصيدة القرطبية في فقه المالكية لسابق الدين أبي بكر يحيى بن عمر الأزدي القرطبي (567هـ) (= شرح أرجوزة الولدان = شرح المقدمة القرطبية = شرح المنظومة القرطبية = شرح القصيدة القرطبية في قواعد الإسلام) – شرح العقيدة القدسية للغزالي (= شرح بداية الهداية = شرح قواعد العقائد) – شرح الغافقية – شرح الفصول – شرح القصيدة النونية لأبي الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري (668هـ) – الشرح الكبير لدلائل الخيرات–الشرح الكبير لرسالة ابن أبي زيد القيرواني –الشرح الكبير للقصيدة القرطبية في فقه المالكية لسابق الدين أبي بكر يحيى بن عمر الأزدي القرطبي (567هـ) (= شرح أرجوزة الولدان = شرح المقدمة القرطبية = شرح المنظومة القرطبية = شرح القصيدة

القرطبية في قواعد الإسلام) – الشرح الكبير للمقدمة الوغليسية لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (786هـ) –الشرح المتوسط لرسالة ابن أبي زيد القيرواني –الشرح المتوسط للقصيدة القرطبية في فقه المالكية لسابق الدين أبي بكر يحيى بن عمر الأزدي القرطبي (567هـ) (= شرح أرجوزة الولدان = شرح المقدمة القرطبية = شرح المنظومة القرطبية = شرح القصيدة القرطبية في قواعد الإسلام) – الشرح المختصر للمقدمة الوغليسية لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (786هـ) – شرح المرشدة لأبي علي محمد بن عمر السنوسي (892هـ) (ليست مرشدة محمد بن تومرت (525هـ)) – شرح الوظيفة – شرح حديث المعدة بيت الداء – شرح حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي – شرح حزب البر لأبي الحسن الشاذلي – شرح حكم تاج الدين بن عبد الله بن عطاء الله السكندري (709هـ) (أربعة وعشرون شرحا، المعروف منها اثنان وعشرون شرحا، وذكر السطي أن له ثمانية عشرة شرحا على الحكم ما بين مطول ومختصر، وأوصلها المنوفي إلى ستة وثلاثين شرحا؛ ولعل الخلاف في عدد الشروح راجع إلى الشروح التي كملت، والتي لم تكتمل، والراجح عند إدريس عزوزي حسبما صرح به زروق نفسه أنه كتب سبعة عشر شرحا مكتملة حيث بدأ الأول بفاس عام 870هـ فسرق فكتب الثاني بها وكمله بتونس والثالث بتونس والرابع بالقاهرة والخامس بالمدينة المشرفة والسادس بالقاهرة والسابع بطرابلس والثامن بتونس والتاسع ببجاية والعشر والحادي عشر والثاني عشر بفاس ثم الثالث عشر والرابع عشر بها والخامس عشر ببجاية والسادس عشر بالقاهرة والسابع عشر بمصراتة) – الشرح الصغير لدلائل الخيرات–شرح عقيدة أبي العباس أحمد بن علوان التونسي المصري (787هـ) – شرح عيوب النفس للإمام عبد الله الفخار – شرح كتاب الصلاة ومقاصدها لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (285هـ) – شرح مختصر خليل في الفقه المالكي – شرح مراصد أحمد بن عقبة الحضرمي – شرح مغمضات حزبي الشاذلي (حزب البر وحزب البحر) – شرح مقطعات الششتري (668هـ) – شرح مواضع من مختصر خليل – شرح نظم عبد الرحمن الرقعي المالكي (853هـ) (في الفقه) – الصناعة (مثل الكشف) – عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت (مئة فصل، في

بدع فقراء الصوفية) – العرف في تعريف الحرف – العقائد الخمس – علاج أدواء القلب – فتح المقام الأسمى في بعض ما يتعلق بالأسما – فتح المقام الأسمى في بعض ما يتعلق بالأسما – فتح المواهب وكنز المطالب في التنبيه على ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراغب للشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي – الفهرست – في إعراب إن لم أجد إلهي – قصيدة طويلة في التوسل بالأسماء الحسنى –قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريق في الصيغة الثانية (= قواعد التصوف في الجمع بين الشريعة والحقيقة = قواعد الصوفية = فصول جلية في أصول قواعد الطريقة الصوفية = تعليق على طريقة التصوف = الفصول في الأصول = القواعد الزروقية) – قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريق في الصيغة الثانية (= قواعد التصوف في الجمع بين الشريعة والحقيقة = قواعد الصوفية = فصول جلية في أصول قواعد الطريقة الصوفية = تعليق على طريقة التصوف = الفصول في الأصول = القواعد الزروقية) – الكشف – الكناشة – اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية لابن البناء السرقسطي الفاسي (821هـ) – المحبة – مراتب أهل الخصوصية من قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) – مزيل اللبس عن أدب أسرار القواعد الخمس – مصطلح الحديث – مفاتيح العز والنصر في التنبيه على بعض ما يتعلق بحزب البحر (= شرح حزب البحر) – مفتاح السداد الفهمي في شرح الإرشاد الفقهي لشهاب الدين عبد الرحمن بن عسكر البغدادي المالكي (732هـ) – مقدمة في حقيقة الحزب – المقصد الأسمى شرح أسماء الله الحسنى – المناقب الكبرى للشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي (895هـ) (ألفه بعد وفاته) – المناقب المختصرة للشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي (895هـ) (ألفه في حياته) – المنهاج الصغير لحزب البحر الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته – المنهاج الكبير لحزب البحر الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته – المواهب السنية في خواص المنظومة الدمياطية في الأسماء الحسنى لنور الدين الدمياطي – نبذة في علم الحديث – النصائح – النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة – النصيحة

وقد ذكر بعض العلماء عن بعض السجانين، أنه كان يسأل من يساق إليه عن هاتين الصلاتين، فلم يجد أحدا ممن دخل عنده صلاهما تلك الليلة جماعة مدة أربعين سنة، وقد سألت كثيرا ممن تقع عليه الدواهي فأجده مفرطا فيهما، وما وجدت أحدا قد أصابته مصيبة كبيرة ممن صلاهما، وما فاتتني منهما ركعة قط إلا رأيت أثرها في يومي اهـ"[83] من النصيحة.

وقوله أكرم بدين الهاشمي دينا: تفخيم وتعجب من كثرة ثواب العامل بسنة رسول الله صلى لله عليه وسلم، حيث ضوعف لنا الأجر هذا التضعيف الذي لم يعهد لمن كان قبلنا من الأمم؛ فكانت صلاتهم خمسين صلاة بين اليوم والليلة، فضوعف لنا أجر خمسين صلاة حتى

الصغرى (مختصر النصيحة الكافية من خصه الله بالعافية) – النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية (مختصر النصيحة الكبرى) – النصيحة الكبرى – النصيحة وحث القريحة – الهمع في شرح أبيات الجمع (= شرح عقيدة أبي العباس أحمد بن علوان التونسي المصري (787هـ) – الوجود في شرح حديث "أنا جليس من ذكرني" – وصية – وصية – وصية – وصية – وصية – وصية – وصية – الوظيفة الزروقية.

82 الذي في الصحيح حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة، قال: دخل عثمان بن عفان المسجد بعد صلاة المغرب، فقعد وحده، فقعدت إليه فقال، يا ابن أخي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ».

83 النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: 899هـ)، ص: 2.

كادت تكبيرة واحدة لنا تساوي جميع أعمالهم في الثواب وقوله: دينا منصوب على التمييز التوكيدي كقول أبي طالب:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا[84]

09 صَلَى وسَلَمَ عَلى مَن جُعِلَتْ قَرَةُ عيْنِه بِهَا فَفُضِلَتْ

الصلاة الرحمة؛ والسلام التأمين وطلبهما لطلب الزيادة له، صلى الله عليه وسلم، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وفائدة ذلك راجعة إلينا لا إليه، صلى الله عليه وسلم؛ لأنه غني بأكمل الإكمال الذي خصه به ربه أزلا وأبدا وبصلاته، تعالى، عليه وبصلاة الملائكة بعد ذلك، وقيل إنه يزاد بصلاتنا عليه، صلى الله عليه وسلم؛ لأن مواهبه، تعالى، لا ينتهي مددها، ولا ينفد عددها فالكامل الذي لا تزيده الزيادة إلا كمالا، ولأن الدعاء لا بد له من إجابة، ولأن الفاضل ينتفع بدعاء المفضول، والله أعلم.

وأشار بعجز البيت إلى قوله، صلى الله عليه وسلم: «حبب لي من دنياكم ثلاث النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة[85]»؛

---

84 ومن هذا البيت لأبي طالب استدل بعض العلماء أنه ممن آمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أحسن ما ألف في هذا الموضوع كتاب محمد زيني بن دحلان كتابا سماه أسنى المطالب في نجاة ابي طالب، وهذا الكتاب اطلع عليه شيخنا الشيخ سعد أبيه، وزكاه.

85 رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي اهـ.

وإنما حبب إليه النساء؛ لأنه دائم التجلي والتحلي الإلهي إذا دام على القلب سرى منه للأعضاء الظاهرة ما لا تطيق حمله فيحدث لها من ذلك استرخاء وفترة، فينعكس إلى القلب من تلك الفترة غبار وصدأة تنقص شهوده لشدة المناسبة بين القلب والجوارح، فإذا واقع صاحب هذا التجلي زوجته خرج ما كان به من الفترة والكسل مع الماء، وينكشف الغبار والصدأة عن قلبه كما تجلى المرآة فكانت مواقعة النساء تشحيذا للقلب وتصقيلا له فكان حبه، صلى الله عليه وسلم، للنساء ليس هو إلا من ذلك.[86]ليلا ينقضي بشهوده، ولو لحظه لا لمحض الشهوة حاشا جنابه الكريم من ذلك.

وفي نزهة المتأمل للسيوطي[87] أن العارف كلما كان أكمل كان إلى النكاح أميل، وكان له من صفاء مرآته فيه ما لا يكاد يدخل تحت

86 في ب: إلا من حبه لربه.

87 جلال الدين السيوطي متوفى 911هـ؛ مؤلفاته أكثر من أن تحصر، وذكر عناوينها يأخذ حيزا كبيرا من الكتاب

حصر"[88]وقال، صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل بقِدر من الجنة فأكلت فأعطيت قوة أربعين رجلا على الجماع[89]»؛

وفي رواية «ولو شئت أن آتي على نساء الدنيا كلهن لأتيت عليهن»[90]، وقد قال، صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً[91]»؛

قلت: ولعل هذه الحكمة التي هي صفاء المشاهدة بسبب النكاح هي التي خلق النساء من أجلها، مع التناسل وبقاء النوع الإنساني إلى الوقت المراد؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: يوحدوني فكان النساء معينات على التوحيد ودوام الشهود من تلك الحيثية؛ ولولا ذلك لما أحبهن النبي، صلى الله عليه وسلم، ورغب أمته فيهن.

---

88 نزهة المتأمل ومرشد المتأهل في الخاطب والمتزوج،الناشر: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1989، تحقيق الدكتور محمد التنوجي 16،17.

والظاهر أن شيخنا الشيخ سعد أبيه كان يركز على عزو المعنى دون اللفظ وأحيانا تكون عبارته أدق وأبلغ من عبارة من عزى له.

89 بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب علامات النبوة باب فيما فضله الله به وأجله صلى الله عليه وسلم، ولفظه عن ابن طاوس , عن أبيه , قال: «أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا في الجماع».

90 لم أقف على هذا اللفظ.

91 صحيح البخاري كتاب النكاح باب كثرة النساء.

وأما حبه، صلى الله عليه وسلم، للطِيب فلكثرة مجالسته، صلى الله عليه وسلم، للملائكة وهم يحبون الطيب، وينفرون من مكاره الرائحة كما جاء في حديث البخاري[92] أنه، صلى الله عليه وسلم، نهى أن يدخل المسجد من أكل البصل ليلا يؤذي الملائكة بريحه[93].

---

92 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدا لله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى ونشأ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء. قالوا: لم تخرج خراسان مثله. سمع الحديث ببخارى قبل أن يخرج منها كما سمع ببلخ ونيسابور والرَّي وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام. سمع نحو ألف شيخ، أشهرهم أبو عاصم النبيل والأنصاري ومكي بن إبراهيم وعبيدا لله بن موسى وغيرهم. روى عنه خلائق لا يحصون ـ كما يقول الذهبي ـ منهم الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي وابن أبي الدنيا والنَّسفي وابن خزيمة والحسين والقاسم ابنا المحاملي وغيرهم.

جمع البخاري في الجامع الصحيح نحو ستمائة ألف حديث اختار منها ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو. وهو أوثق كتب الحديث الستَّة. وسبب تأليفه ذكره البخاري في قوله: كنت عند إسحاق بن رَاهَوَيه فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لسنن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. وذكر أنه صنّفه في ست عشرة سنة.

مؤلفاته: أخبار الصفات – الأدب المفرد – أسامي الصحابة – الأشربة المفرد – الاعتقاد (= السنة) – بر الوالدين – التاريخ الأوسط – التاريخ الصغير – التاريخ الكبير – التفسير الكبير المفرد – التوحيد المفرد – الجامع الصحيح (= صحيح البخاري) – الجامع الكبير – خلق أفعال العباد – رفع اليدين في الصلاة – الضعفاء الصغير – الضعفاء

وإنما قال: وجعلت قرة عيني في الصلاة؛ لما يكاشف فيها من مشاهدة ربه ولذيذ مناجاته، ولو أراد نفس الصلاة لقال: وجعلت قرة عيني بالصلاة.

وقد عبر عنها أولا بالمحبة؛ لأنها محبوبة في الجملة، ثم لما أراد التنصيص على ما حببت لأجله قال: وجعلت قرة عيني في الصلاة؛ لأن قرة العين معنى زائدا على المحبة، ولذا عبر عن النساء والطيب بالمحبة؛ لأنها من الوسائط والوسائل إلى ما به قرة العين من المشاهدة؛ فانظر إلى السر في التفرقة بين الوسيلة والمتوسَل إليه في أوجز لفظ وأعذبه لتعلم يقينا أنه، صلى الله عليه وسلم، أوتي جوامع الكلم، وإلى معنى قرة العين أشار بقوله: «أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[94].

وهذا المشهد الذي هو قرة العين في الصلاة، قد يكون لبعض ورثته بحسب الإرث والتبعية لا بحسب التساوي والمعية، لكن ذلك يختلف باختلاف أحوال الناس في مراتبهم، فمن كان مشهده تجريد التوحيد وكمال التفريد تكون قرة عينه في الصلاة لا بها لما تضمنت

الكبير – العلل – الفوائد – القراءة خلف الإمام – الكنى – المبسوط – المسند الكبير – الهبة المفرد – الوحدان –

93 صحيح البخاري كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث.

94 من حديث جبريل المشهور، صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة.

من التجلي التام والشهود الحقيقي العام، كما قال ابن عمر: "كنا نترايا الله بين أعيننا "[95]ذكره ابن عباد.

وأما من كانت منزلته دون ذلك وكانت ملاءمته وموافقته في شهود النعم دون المنعم ووجود الفضل والكرم، فتكون قرة عينه بالصلاة لا فيها لكونه يراها نعمة من نعم ربه وتفضلا من سيد.

فأهل الحال الأول هم المخلصون الذين زالت عنهم سلطنة العدو، ودخلوا في إضافة الملك الحنان، قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾؛ لأنهم عبدة الحضرة لا أنهم عبيد النعم المحضة، فمن زالت عنه سلطنة العدو في صلاته لم يحتج إلى مدافعته، فيزول حديث نفسه

95 جاء في أخبار مكة للفاكهاني المتوفى272هـ؛ ما نصه عن نافع "عَنْ نَافِعٍ قَالَ: خَطَبَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَهُوَ فِي الطَّوَافِ فَلَمْ يَرُدَّ إِلَيْهِ شَيْئًا، فَقُضِيَ أَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَتَاهُ عُرْوَةُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: " يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ خَطَبْتَ إِلَيَّ ابْنَتِي فِي الطَّوَافِ وَنَحْنُ نَتَخَايَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ أَعْيُنِنَا، فَهَلْ لَكَ فِيهَا الْيَوْمَ رَغْبَةٌ؟ " قَالَ: نَعَمْ، مَا كُنْتُ أَرْغَبَ فِيهَا مِنِّي الْيَوْمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: " يَا نَافِعُ ادْعُ لِي سَالِمًا وَعَبْدَ اللهِ ابْنَيْهِ "، قَالَ عُرْوَةُ: وَنَاسًا مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ، قَالَ: " لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمْ "، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِسَالِمٍ وَعَبْدِ اللهِ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: هَذَا عُرْوَةُ هُوَ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمَا، وَقَدْ ذَكَرَ أُخْتَكُمَا فُلَانَةَ، وَقَدْ زَوَّجْتُهُ إِيَّاهَا عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى: {إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} " وَحَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُقْرِئُ قَالَ: ثنا حَرْمَلَةُ بْنُ عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: خَطَبْتُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ابْنَتَهُ وَنَحْنُ فِي الطَّوَافِ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ

ووسوسة عدوه، كانت صلاته لا محالة ملزومة بالحضور والخضوع ودوام الخشوع، فيحصل له غاية اللذة والمشاهدة، ويتحقق في حقه معنى قرة العين في الصلاة.

بخلاف صاحب المقام الثاني فلم يغب عن نفسه فضلا عن أن يرتقي إلى درجات البقاء بربه، فلم يندفع عنه حديث النفس ولا وسوسة العدو، فيأتيه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله قال تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾، فيحتاج لا محالة لمجاهدته ومدافعته فيشوش نعيمه وتتكرر لذته فيضعف في حقه معنى قرة العين.

قال الشيخ عبد العزيز المهدوي[96]: "قرة العين لا تكون بمجاهدة ولا لمن يدفع الشيطان، وإنما تكون لمن استراح منه ومن نفسه، ولما

96 محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، (ت 621هـ/ 1224 م (ولقبه الصحيح المهدوي وليس المهدي، ولد في مدينة المهدية، ويكفي لبيان علو شأنه ومنزلته، أن نذكر أنّه من شيوخ محيي الدين ابن عربي؛ الذي خصّه برسالة "روح القدس في مناصحة النّفس"، واعترف بفضله وتضلعه في مجال التصوف؛ إذ صدرها بقوله: "من محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الحاتمي، إلى وليّه في الله تعالى، وأخيه الركن الوثيق أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، نزيل تونس: قد فزت يا أخي في زمانك بخلال لم أقدر أن أراها في غيرك، منها؛ معرفتك بمرتبة العلم وأهله، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال، ولم تلحظ منزلتك الدنيويّة من تعظيم النّاس لك، وتقبيلهم يدك، وإتيان السّلاطين إلى بابك"رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ محي الدين ابن عربي ص:9.

كانت منزلة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، أشرف المنازل ومرتبته في المعرفة أرفع المراتب؛ بحيث لا يتصور أن يشاركه في ذلك غيره من سائر الرسل والملائكة فضلا عن غيرهم، كانت قرة عينه في الصلاة على حسب منزلته، ومن كان دونه فدونه في اللذة، ومن كان دون ذلك فدون ذلك إلى أسفل السافلين."

من تآليفه حجّة القاصدين وحجّة الواجدين: وهي رسالة في التصوّف، شرحها أبو الحسن علي بن الشيخ أبي زيد عبد الرّحمن البجائي، واعتنى هشام عبيد بتحقيقها وتقديمها، في كتابه: "الشيخ عبد العزيز المهدوي وتراثه الصوفي"، معتمدًا على نسختين مخطوطتين، من مخطوطات دار الكتب الوطنية في تونس (رقم 9883، ورقم 712)، وكان بالإمكان الاستفادة، أيضًا، من نسختين أخريين، ذكرهما في متن كتابه؛ إحداهما في مكتبة الطّاهر ابن عاشور بالمرسى، والثّانية في مكتبة محمّد محفوظ في صفاقس.

رسائل ومكاتبات بينه وبين عدد من شيوخ التصوّف في عصره، أمثال؛ أبي مدين، والدهماني، أثبت بعضها ابن الطواح.

ـ الصلاة المباركة: وتوجد نسخة منها في المكتبة الأحمديّة في تونس، وقد قام محمد البهلي النيال، بنقل جزء منها في كتابه "الحقيقة التاريخيّة للتصوف الإسلامي."

ــ عدد من الأشعار، من قبيل؛ ما أورد في رسالته إلى أبي مدين شعيب الأندلسي، أو قصيدته الموجّهة إلى الصبّاغ في مدينة قنا المصريّة، ومطلعها: "كتاب أخ بادي الصّبابة والولع."

ـ مسائل سئل عنها؛ ومنها نسخة مخطوطة في المكتبة الأحمديّة في تونس.

ــ رسالة في التّصوّف: مخطوطة في مكتبة آل النّيفر في تونس، تحت رقم 305، وقد نشر محمد الشذليالنّيفر جزءًا منها، تحديدًا "الاعتبار بقصة آدم، وثبت، مطابقًا لما ورد في رسالة "محجة القاصدين وحجة الواجدين."

قال المناوي[97] في شرح الحكم: "ولما كانت النبوءة مبدؤها وراء منتهى الولاية، فلا ذوق لولي في إخلاص نبي، وإن تكلم عليه بحسب

97 محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين :من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها.

مؤلفاته: إتحاف السادة الأجلة بما يقال عند رؤية الأهلة –إتحاف السائل بما لفاطمة رضي الله عنها من الفضائل –إتحاف الطلاب بشرح العباب للسيوطي (انتهى إلى النكاح) –إتحاف الناسك بآداب المناسك (على المذاهب الأربعة) –الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية –إحسان التقرير بشرح التحرير لزكريا الأنصاري –الإحسان ببيان أحكام الحيوان –إحكام الأساس للزمخشري (مختصر أساس البلاغة وبترتيب القاموس) –آداب الأكل والشرب –الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة –إرسال أهل التعريف (= شرح رسالة ابن سينا في التصوف) –إرشاد البصير إلى فيض القدير شرح أحاديث الجامع الصغير على الأبواب – إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن (= الطبقات الصغرى = ذيل الطبقات الكبرى) –إسفار البدر عن ليلة القدر –أسماء البلدان –إعلام الأعلام بأصول فني المنطق والكلام (شرح الفن الأول من نقاية العلوم للسيوطي) – الأمثال –إمعان الطلاب بشرح ترتيب الشهاب – البرهان في دلالة خلق الإنسان والحيوان على وجود الصانع الرحمن –بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين –بغية المحتاج في معرفة أصول الطب والعلاج –بلوغ الأمل بمعرفة الألغاز والحيل –تاريخ الخلفاء –تخريج الأحاديث الأربعين للمنذري –تذكرة فيها رسائل –ترتيب الشهاب –ترجمة الإمام الشافعي –ترجمة الشيخ علي الخواص شيخ الشيخ عبد الوهاب الشعراني –التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده –تفسير سورة الفاتحة وبعض سورة البقرة (لم يتم) –التفصيل بين الملك والإنسان –تهذيب التسهيل (أحكام المساجد) –توضيح فتح الرؤوف المجيب

بشرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم للسيوطي –توضيح فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم للسيوطي –التوقيف على مهمات التعاريف –التوقيف على مهمات التعاريف (ذيل لتعريفات الجرجاني في اللغة والفقه والحديث والمنطق وغيرها من العلوم) –تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف –التيسير في اختصار فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي (جزآن) – الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور صلى الله عليه وسلم (30000 ألف حديث، مع بيان زوائده على الجامع الكبير) –جامع العلوم (أصول الدين وأصول الفقه والفرائض والنحو والتشريح والطب والهيئة وأحكام النجوم والتصوف) –جمع الجوامع (مختصر العباب، لم يتم) –الجواهر السنية في الآداب السلطانية –الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية –حاشية شرح على المنهج (لم يتم) –حاشية على إتحاف الطلاب بشرح العباب للسيوطي (انتهى إلى النكاح) –الدر المصون في تصحيح القاضي ابن عجلون (يعني تصحيح المنهاج، لم يتم) –الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود –الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية –دلائل خلق الإنسان –رفع النقاب عن كتاب الشهاب –روح الحيوان – الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (مختصر الشمائل للترمذي مع زيادة بقدر النصف) –سيرة عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، –شرح الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية –شرح الأربعين النووية –شرح الباب الأول من الشفا في حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض –شرح الخصال النبوية والشمائل المصطفوية للترمذي –شرح القاموس المحيط (توقف عند الذال، لم يتم) – شرح القصيدة العينية في النفس والروح لابن سينا –شرح المواقف لتقي الدين –شرح الورقات لابن أبي شريف –شرح الورقات لإمام الحرمين –شرح حديث "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" –شرح رسالة التصوف لابن سينا –شرح رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف –شرح مختصر المزني (لم يتم) –شرح منازل السائرين في طرق الحق المبين للهروي –شرح نبذة البكري في فضل ليلة النصف من شعبان –شرح نظم الدرر السنية في السيرة الزكية للعراقي (= شرح ألفية العراقي في السيرة النبوية، شرح بالقول) – شرح نظم العقائد لابن أبي شريف –شرح هدية الناصح للشيخ أحمد الزاهد –الصفوة في

مناقب آل بيت النبوة –العجالة السنية على الخصائص المصطفوية –العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية –عماد البلاغة مختصر المضاف والمنسوب للثعالبي –غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد –غاية الأماني شرح العقائد للسعد التفتازاني (لم يتم) –فتاوى –فتح الحكم بشرح ترتيب الحكم لتقي الدين علي (لم يتم) –فتح الروف الجواد شرح منظومة العماد في آداب الأكل –فتح الرؤوف الخبير بشرح التيسير (وصل فيه إلى الفرائض وأكمله ابنه تاج الدين محمد) –فتح الرؤوف الصمد بشرح صفوة الزبد لابن رسلان –فتح الرؤوف القادر لعبده هذا العاجز القاصر (شرح عماد الرضا في آداب القضاء) –فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم للسيوطي –الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي –الفتح السماوي بشرح بهجة الطحاوي (يعني البهجة الوردية للطحاوي، لم يتم) – الفتوحات السبحانية شرح نظم الدرر السنية من السيرة الزكية للعراقي (شرح ألفية العراقي في السيرة النبوية، شرح ممزوج) –الفرائض –فردوس الجنان في مناقب الأنبياء المذكورين في القرآن –فضل العلم وأهله –فوائد وفرائد ونكت وزوائد (= الشرح الصغير على نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني) –فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي (ستة أجزاء = مصابيح التنوير على الجامع الصغير = الروض المنير شرح الجامع الصغير = البدر المنير شرح الجامع الصغير) –القبض والتقليد –قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان –كنز الحقائق في حديث خير الخلائق صلى الله عليه وسلم (عشرة آلاف حديث شريف من الأحاديث القصار) –الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (= الطبقات الكبرى) –المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق صلى الله عليه وسلم (أحاديث قصار مع بيان رتبتها) –المحاضر الوضية في الشمعة المضية في علم العربية للسيوطي –مختصر التمهيد للإسنوي (لم يتم) –مختصر الفتح السماوي بشرح بهجة الطحاوي (يعني البهجة الوردية للطحاوي، اختصره في قدر الثلث منه) –المصباح المنير من الفيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي –المطالب العلية في الأدعية الزهية –مفتاح دار السعادة بشرح الزيادة (شرح قطعة من زوائد الجامع الصغير، لم يتم) –منتقى من لسان الميزان (بين فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف) –المنح الإلهية بشرح الألفية الوردية –

الإرث، فهو كمن تكلم على خيال نجوم السماء في ماء البحر، وأقل إخلاص الأنبياء أن لا يشاهدوا في الوجود أمرا لغير الله، تعالى، ويستصحبون ذلك دائما".

قلت: ولما كانت قرة العين تكون في الصلاة أو بالصلاة، كانت هي مفزع ذوي الفاقات والضرورات من أهل القلوب والمشاهدات، فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب، ويتسلون بها عن كل محبوب؛ إذ فيها تحصل لهم الخلوة بربهم والانفراد به والمجالسة له والانقطاع.

ولذا كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة وحزبه بمعنى نابه وشق عليه، وهم ورثته الأدنون وعصبته الأعلون ففيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والأستار وتتجلى فيها حقائق الأنوار والأسرار.

وقال محمد بن علي الترمذي: "الصلاة عماد الدين، وأول شيء فرضه الله على المسلمين، وهي إقبال الله على العبيد ليقبلوا إليه في صورة العبيد فالوقوف تذلل، والتكبير تسليم، والثناء والتلاوة تبتل، والركوع خضوع، والسجود تخشع، والجلوس ترغب، والتشهد تملق،

منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين – مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (= مولد المناوي) –نتيجة الفكر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر (الشرح الكبير) –النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية –النقود والمكاييل والأوزان – اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر (يعني نخبة الفكر، وهو الشرح الصغير) –

فأقبلوا إليه بهذه ليقبل عليكم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب، فليس شيء من أمر الدين أعظم من هذا؛ ولذلك قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الصلاة عماد الدين".

فائدة: في سر هيئات الصلاة وحركاتها وسكناتها في الباطن، وهو أن العبد إذا أطال في مناجاة ربه بكلامه، حال قيامه لاح له بارق تعظيم وهيئة من الحضرة الإلهية فخضع بذلك، فمن الله عليه أن أمره بالركوع، فلما ركع تجلى له من عظمة الله تعالى أُمر على ما كان عليه حال مناجاته في القيام فرحمه الله بالأمر برفع رأسه من الركوع، ليأخذ في التأهب إلى تحمل تجلي عظمة الله التي تتجلى في السجود.

ولولا ذلك الرفع لربما ذاب جسمه، ولم يستطع السجود، ثم لما سجد، وتجلت له عظمة أخرى أعظم مما كان في الركوع لأن حضرة السجدة هي أخص الحضرات، كما أشار إليه، صلى الله عليه وسلم، بقوله: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ»[98] فأمره برفع رأسه به ليجلس بين السجدتين، ويأخذ له راحة وقوة على تحمل عظمة تجلي السجدة الثانية، وذلك لأن من خصائص تجليات الحق أن التجلي في السجدة الثانية أعظم من الأولى، وفي الثالثة أعظم من الثانية، لأن كل تجل يزداد به الكشف، وبزيادة الكشف يزداد ظهور التجلي، قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾.

98 صحيح مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود.

ولذلك سن الشارع جلسة الاستراحة بعد الرفع من السجدتين رحمة بالمصلي الحقيقي، ولو أنه أمره بالقيام عقب رفعه من السجدة الثانية من غير جلوس استراحة لكلفه ما لا يطيق، هذا حكم من يصلي الصلاة الحقيقية، كما أشار إليه، صلى الله عليه وسلم، بقوله: «ركعتان من عارف أفضل من عبادة غيره سبعين ألف سنة»، كما في جذوة الأنوار[99]" وأما من يصلي الصلاة العادية فلا يذوق شيئا مما قلنا، ويكفيه فعل ذلك على وجه التأسي بالشارع، صلى الله عليه وسلم.

وقال سيدي علي الخواص: "استحكمت في قلبي مرة هيبة الله، وكنت كلما أتذكر أني واقف بين يديه في الصلاة أو راكعا أو ساجدا، أحس بعظمي يذوب كما يذوب الرصاص على النار، قال: وكنت أسأل الله، تعالى، الحجاب وأعده رحمة لعدم طاقتي لرفعه عني الحجاب، وكان يقول: من رحمة الله، تعالى، بعبده المؤمن حضور الأكوان على قلبه حال ركوعه وسجوده، لأن تلك الحضرة تقرب من حضرة قاب قوسين بحكم الإرث لرسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وما كل أحد يصح للمكث فيها أو يقدر على تحمل ذلك التجلي الذي يَهُدُ أركان العبد في تلك الحضرة، ولولا حضور الأكوان على قلبه لربما ذاب عظمه ولحمه، وتقطعت مفاصله، واضمحل بالكلية، كما

99لم أقف على ذكره في كتب الحديث، وهو بهذا اللفظ في جذوة الأنوار، للشيخ سيدي المختار الكنتي,

وقع لبعض تلامذة الجيلي ذاب في السجود حتى صار نطفة فقال الشيخ: سبحان الله، رجع إلى أصله بالتجلي فلفه في خرقة ودفنه."[100]

وكان الشيخ سيد أحمد السطيحي يقول: من أولياء الله من رحمه الله، تعالى بالحجاب، ولو أنه كشف له عن عظمته، تعالى، لما استطاع، أن يقف بين يديه أبدا، فهو صاح في أمور الدنيا، ولا يرونه يصلي، فقال له الشعراني: فإذا صحا من تلك الحال فهل يجب عليه قضاء الصلاة إذا قدر عليها؟ فقال: نعم، ذلك واجب عليه.اهـ.[101]

ومن هذا المعنى ما علل به تجويز الإمام أحمد الشراب في صلاة النافلة، وذلك أن الله، تعالى، لما أوجب على الأكابر عدم الالتفات بقلوبهم إلى غير ما هم فيه في الفريضة أنزل على قلوبهم برد الرضى فبردت نار نفوسهم فلم يحتاجوا إلى ما يطفئ تلك النار، ولا هكذا النافلة فإن الروح تكاد تزهق من شدة العطش، فلذلك سومح للعبد بالشرْب فيها كما يعرف ذلك من صلى الصلاة الحقيقية فافهم.

وقد كان سعيد بن جبير: يشرب في النافلة، وكان طاووس يقول لا بأس بشرب الماء في النافلة، قاله في الميزان.[102]

هذا النص بكامله في الميزان 186/1 100

الميزان 190/1, 101

الميزان 133/1 102

وكان سيدي على المرصيفي يقول: طول القيام على العارف أشد عليه من ضربة بالسيف لما في القيام من رائحة الحجاب والكبر وعدم صورة الخضوع لله، تعالى، فإذا بلغك أن أحدا من الأكابر أطال القيام، فهو تشريع لقومه الضعفاء عن تحمل تجليات الركوع والسجود، فتأمل ذلك فإنك لا تجده في كتاب، واعمل على تحصيل مقام الحضور مع ربك في صلاتك على يد شيخ صادق، وإياك أن تخرج من الدنيا، ولم تصل صلاة واحدة كما ذكرناه، وتكتفي بهز رأسك تعجبا عند سماعك بأحوال العارفين. اهـ، من الميزان[103]

10 فهي للاولياء ربْعُ عزة

لما يشاهدون فيها من قرة أعينهم بالتجليات كما قدمنا، فكان لسان حالهم ينشد في الصلاة قول كُثَيِّرُ في عَزَة:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

فعزة عندهم ما ينالون في الصلاة من المشاهدات والتجليات والمعارف واللذائذ وقرة الأعين، وربعها الذي توجد فيه هو الصلاة،، والقلوص كناية عن الهمة؛ لأنها هي التي تحمل الإنسان إلى مقاصده، وثنَّاها باعتبار الهمة للدنيا والهمة للآخرة، والمعنى اثنيا هممكم، وأعرضا عن الدنيا والآخرة، وابكيا في الصلاة حيث تحل، وتنزل التجليات الإلهية، فمن كان ذا بصيرة شاهد عزة هناك، وتأنس بها

103 نفس المصدر.

وتلذذ بحديثها ومناجاتها، ومن كان أعمى يظنها رحلت عن ديارها لأجل عَمَاه، فيحب الديار لأجل من ذكر له أنه كان يسكن فيها، فينشد بلسان حاله:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

[ثم قال]

بها يعزون لفقد العزة

يعزون من العزاء وهو الصبر، أو أحسنه والتعزية الأمر بالعزاء، والعزة كعدة الفرقة من الناس، ويجمع على عزين نصبا وجرا، وعزون رفعا، قال تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾، وقال الشاعر:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

وبين عزة ويعزون وعزة التجنيس، والمعنى أن السلف كانوا يعدون فوات الجماعة في الصلاة مصيبة فيعزون لأجل ذلك، وفي الإحياء قال حاتم الأصم: فاتتني صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، وذلك أن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا.

وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له: إن الناس قد انصرفوا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق، وقال الفضيل[104]: عجبت من هؤلاء الناس إذا مات لي ولد يعزيني فيه أكثر من ألف إنسان، وتفوتني صلاة الجماعة ولا يعزيني فيها أحد، والله إن فوات الصلاة في الجماعة أعظم عندي من موت ولدي البالغ الصالح، ووقع لبعضهم أنه خرج إلى حديقة نخل له فرجع، وقد صلى الناس صلاة العصر، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة الجماعة، أشهدكم أن حائطي على المسكين[105] صدقة. [106]

وحكى الواسطي عن البغوي[107] قال سمعت بعضهم يقول: كنت لا تفوتني صلاة في الجماعة، فنزل شغل بي فشغلني عن صلاة العشاء

---

104 ابن عياض

105 في ب: المساكين.

106 الإحياء، 149/1.

107 أبو القاسم البَغَويّ (214 - 317هـ، 830 - 929م).

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه، البَغَوي الأصل، البغدادي الدار والمولد. إمام حافظ وحجة مُعمّر، مُسْنَد العصر، ويعرف بابن بنت منيع. منسوب إلى مدينة بَغْشَور من مدائن إقليم خراسان. وكان أبوه وعمه الحافظ علي بن عبد العزيز البغوي منها.

حرص عليه جده لأمه أحمد بن منيع فأسمعه في الصّغر، حتى كتب بخطه إملاء في ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائتين، فكان سنه يومئذ عشر سنين ونصفًا. ولا يُعرف أحد في ذلك العصر طلب الحديث وكتبه أصغر من أبي القاسم، فأدرك الأسانيد العالية وحدَّثه جماعة عن صغار التابعين.

في المسجد، فخرجت لأصلي مع الناس صلاة العشاء في المسجد فإذا هم قد صلوا فرجعت حزينا فقلت ورد في الخبر أن الصلاة في الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم نمت فرأيت كأني على فرس مع قوم على خيل، وهم أمامي، وأنا أركض في فرسي خلفهم فلا ألحقهم، فالتفت إلى أحدهم، وقال: لا تتعب فرسك فلستَ تلحقنا فقلت: ولم ذلك؟ قال: لأنا قد صلينا في الجماعة، وأنت قد صليت وحدك، فما فاتت أحدا صلاة الجماعة إلا لذنب أصابه، وقد كان السلف الصالح يعزون أنفسهم سبعة أيام إذا فاتت أحدهم صلاة الجماعة ويقولون: هذا ذنب عجلت عقوبته، ويعزون أنفسهم ثلاثة إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

11 ثلاَثَة الأَيَامِ للإِحْرَامِ وَلِلصَّلاَةِ سَبْعَة الأَيْامِ

حدّث عن الإمام أحمد وابن المديني وعلي بن الجعد وأبي بكر بن أبي شيبة وجده أحمد بن منيع، وخلق كثير، حتى إنه كتب عن أقرانه، وصنّف كتاب معجم الصحابة فجوده وكتاب الجعديات المطبوع باسم مسند علي بن الجعد فأتقنه. وكان علي بن الجعد أكبر شيخ له وهو ثَبتٌ فيه مكثر عنه. حدّث عنه يحيى بن صاعد وابن قانع وابن حبان وابن عدي والطبراني وخلق كثير. وكل من جاء بعده يحرص على حديثه لعلو أسانيده. سئل عنه الدارقطني فقال: ثقة جبل، إمام من الأئمة ثَبتٌ، أقل المشايخ خطأ، وكلامه في الحديث أحسن من كلام ابن صاعد.

مؤلفاته: الأربعون حديثا – الأنوار في شمائل المختار صلى الله عليه وسلم – التهذيب في الفقه الشافعي – الجمع بين الصحيحين – شرح السنة – مجموعة الفتاوى – مصابيح السنة – معالم التنزيل (= تفسير البغوي).

قال أبو مدين التلمساني:[108] إنما فضلت صلاة الجماعة على غيرها؛ لأنه إنما يكتب لكل أحد من صلاته ما حضر فيه منهما، ويرمى بغيره، لخبر: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت» فيكتب من صلاةٍ عُشرها، ومن صلاة سدسها إلى غير ذلك، فيرفع للجميع صلاة واحدة فقط من تكملة الأجزاء بعضها ببعض فيعيد الله ببركة الاجتماع والحضور على الجماعة فيكتب لكل واحد صلاته كاملة.

وقال بعضهم: فعلى هذا من قد صلى فذا، وغفل فيها فهي باطلة، ومن هنا جعل بعض الأئمة الجماعة فرض عين، كعطاء، وأحمد بن حنبل، وأبي ثور دليلهم أن عبد الله بن أم مكتوم قال: يا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "إني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل تجدلي رخصة أن أصلي في بيتي" فقال: «تسمع الأذان قال: فأجب» رواه أحمد[109] ومسلم[110] والنسائي[111].

---

108 أبو مدين*: الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري البجائي التلمساني (509هـ - 594هـ): إجازات –أحزاب –أقوال –أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد –أوراد –بداية المريدين –تحفة الأريب ونزهة اللبيب –الحكم (= حكم أبي مدين وهي 138 حكمة عليها شروح عديدة) –الديوان (جمع) –الرسالة (= رسالة أبي مدين) – رسائل –فتاوى –مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب.

109 مسند المكيين مسند عمر بن أم مكتوم.

110 كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء

111 كتاب الإمامة باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهم.

قال الحطاب[112]: فيه دليل على وجوب حضور الجماعة، ولو كان ندبا لكان أول من يسعه التخلف عنها أهل الضرورات والضعف ومن كان في حال ابن أم مكتوم[113].

---

112 فقيه مالكي، من علماء المتصوفين.

مؤلفاته: استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (صغرى) – استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (كبرى) – استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (وسطى) – استقبال عين القبلة وجهتها والفرق بين العين والجهة (شرح لكلام الغزالي في الإحياء عند السفر) – البشارة الهنيئة بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة – تأليف في القراءات – تحرير الكلام في مسائل الالتزام – تحرير المقالة شرح نظم نظائر الرسالة لابن غازي – تعليق على ابن الحاجب (يتضمن ما أطلقه من خلاف والتنبيه على ما خالف فيه المشهور والمذهب، وصل إلى سنن الصلاة) – تعليق على الجواهر (وصل إلى شروط الصلاة) – تعليق على المسائل التي انفرد بها مالك – تعليق على المسائل التي لم يقف فيها على نص في المذهب – تعليق على جميع المواضع التي غلط فيها صاحب القاموس المحيط صاحب الصحاح – تعليق على حدود ابن عرفة (يتضمن الكلام على تعريفاته والتنبيه على بعض اعتراضاته من كلامه، كتب منه يسيرا) – تعليق على ما في كلام بهرام في شروحه الثلاثة مما فيه الإشكال ومخالفة للمنقول (كتب منه يسيرا) – تعليق على مواضع من أثناء ابن الحاجب – تعليق يذكر فيه الألفاظ العربية التي فسر صاحب الصحاح كل لفظ منها بمرادفه – تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب (جمع بين مؤلفي ابن حجر والسيوطي وزاد عليهما) – تفسير القرآن الكريم (وصل سورة الأعراف) – حاشية على إحياء علوم الدين (أتم حوالي ثلاثة أرباع منه ووصل إلى آخر ذم الجاه) – حاشية على الإرشاد (وصل إلى الاستقبال) – حاشية على البيضاوي (لم تتم) – حاشية على التوضيح في النحو وشرح خالد الأزهري عليه – حاشية على الشامل (وصل إلى شروط الصلاة) – حاشية على قطر الندى – شرح القواعد لعياض (وصل

ومن دليلهم أيضا أمره، تعالى، بالجماعة وقت شدة الخوف والتحام الحرب، فلو لم تكن واجبة على الأعيان لسامح الله، تعالى، الناس وقت تطاير الرؤوس، قاله في الميزان.

وقال أبو حنيفة: إنها فرض كفاية في الفرائض غير الجمعة[114]، لأن المقصود بها بالأصالة إقامة شعار الدين في دولة الظاهر والباطن

أثناء القاعدة الثانية) – شرح مختصر الحوفي (وصل إلى المناسخات) – شرح مناسك خليل – عمدة الراوين في أحكام الطواعين – فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام – قرة العين شرح ورقات إمام الحرمين – القول المتين أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين – متممة الآجرومية – مختصر إعراب الألفية لخالد الأزهري – مواهب الجليل شرح مختصر خليل – هداية السالك المحتاج لبيان فعل المعتمر والحاج.

113 لعل هذا الكلام كتبه الحطاب في كتاب له آخر غير مواهب الجليل؛ والغريب أن ما في مواهب الجيل موافق لمذهب جمهور المالكية، وهو القول بسنية الصلاة في الجماعة، فقال معلقا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم - «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مسجدنا يؤذينا بريح الثوم» فيه من الفقه أن حضور الجماعة ليس بفرض وإلا لما كان يباح ما يحبس عن الفرض وقد أباحت السنة لآكل الثوم عن شهود الجماعة وقد بينا أن أكله مباح فدل ذلك على ما وصفنا؛ ألا ترى أن الجمعة إذا نودي لها حرم على المسلمين من أهل الحضر كل ما يحبس من بيع وقعود ورقاد وصلاة وكل ما يشغل به المرء عنها وكذلك من كان من أهل المصر حاضرا لا يحل له أن يدخل على نفسه ما يحبسه عنها.

فلو كانت الجماعة فرضا؛ كان أكل الثوم في وقت الصلاة حراما وقد ثبتت إباحته فدل ذلك على أن حضور الجماعة ليس بفرض.

114 الميزان للشعراني 125/2.

في البلد بائتلاف القلوب والأبدان فلا بد من طائفة في البلد تقوم بها، وإلا أدى ذلك إلى إخفاء الدِينِ، وذهاب التعاضد، والتساعد، وغَلبتْ كلمة أهل الكفر على كلمة أهل الإيمان.

خاتمة تتمة: اعلم أن ما تقدم من أن السر في مشروعية الجماعة هو إظهار شعار الإسلام أو لكثرة الأجور بكثرة الازدحام، إنما هو بحسب مراعاة أهل الظواهر، وبحسب العباد طلبة الأجر لأجل اليوم الآخر، وأما بحسب أهل التجلي والشهود الخالدين في الحضرة عند القيام والعقود الذين لا يريدون من ربهم إلا ما يريدُ منهم من كمال التوحيد وصفاء التنزيهِ والقيام عند الحدود، فإنما الحكمة في مشروعية الجماعة عندهم تقوى المصلين، ليبتغوا شهود كثرة الجماعة، واستئناس بعضهم ببعض على الوقوف بين يدي مالك الملوك، في تلك الحضرة التي تكاد أعضاء الأنبياء والملائكة تنحل من أجل عظمة تجليها، فلو أقيم المنفرد في تلك الحضرة وحده، تجلت له الهيئة الإلهية لما قدر أن يقف حتى يتم صلاته من شدة انحلال أعضائه، فكان الحث على الجماعة رحمة بالأمة وشفقة عليهم ليؤدوا صلاتهم كاملة من غير ذهول عن شيء منها.

فلأجل الجماعة لم تنكشف لهم العظمة كل الانكشاف الذي يقع للعارف إذا صلى وحده؛ ولذلك وجبت الجماعة اتفاقا في الجمعة، لأن التجلي يوم الجمعة أعظم من غيره كما يعلم ذلك من صلى الصلاة

الحقيقية، وأما من يصلي الصلاة العادية فلا يعرف شيئا من ذلك بل غاية أقصى مجهوده أن يطمئن في ركوعه وسجوده في ركوعه وسجوده ويراعي معاني ما يقرأ من القرآن والأذكار، وهو محجوب عما قلنا؛ لمراعاته الأفعال والأقوال في الظاهر فافهم! قاله في الميزان.

11 والْيَـوْمَ صَـارَ رَبْعُهَـا يَبَابَـا فَلَـــمْ يَحُـــزْ لسَـــائِلٍ جَوَابَـــا
12 لأنَهُ شَاع بِقُطْرِ المَغْرِبِ هَجْرُ الوضُوءِ لاَ لِخَوْفِ العَطَبِ

الضمير في ربعها للصلاة، ويبابا خاليا لم يحز جوابا أي: لم يرد الجواب لمن سأله، ولما جعل الصلاة أولا هي ربع عزة للأولياء، أخبر أن أهل الدار ارتحلوا عنها وفي ذلك تلميح إلى عادة العرب من نداء الربوع والدمن وإخبارهم أنها لا تجيب صاحب الحزن، كقول عنترة:

أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم

قوله: قطر المغرب إلخ، القطر: الناحية يعني أن أهل هذه البلاد المغربية بل وغيرهم من سائر البلدان صارت الصلاة فيهم متروكة خالية لأجل هجرانهم لشرطها الذي هو الطهارة فترك الشرط هو عين ترك المشروط، قال الشاعر:

شرط النهايات تصحيح البدايات وفاقد الشرط بالمشروط لا ياتي
فصحح البدء في أمر تحاوله وارع النتيجة في الأمر الذي ياتي
من ضيع البدء في أمر يحاوله تكن نتيجته شر النتيجات

وإنما عبر بالهجران؛ لأنه أشد في الإعراض من الترك، ففي الهجران معنى زائد على الترك فقد يكون الأمر متروكا، وهو غير

مهجور، ولذا نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن هجر الأخ المسلم فوق ثلاث ليال[115]، ولم ينهَ عن ترك مواصلته من غير هجر، ولو سنة بل ولو مدة عمره.

ومعنى ذلك أن هؤلاء تركوا الوضوء على غير الوجه الذي قد يترك له، وهو خوف حدوث مرض أو زيادته أو تأخر برئه، بل تركوه استهزاء بالأوامر واستخفافا بأمر الدين فكان ذلك منهم هجرانا له، وجرت عادتهم على ذلك من لدن أسلافهم، فكان لسان حالهم يقول: ﴿إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾، ولسان السنة يقول: ﴿ قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾، ويدَّعون أنهم مرضى فكيف يصح عقلا، وعادة أن أهل إقليم كلهم مرضى بمرض واحد في كل زمن، بل لا يمكن ذلك في قبيلة واحدة، بل ولا في حيّ بل، ولا في رفقة بل، ولا في شخص إلا نادرا، ؛ لأنه إما أن يموت، وإما أن يصح.

وأيضا فهل يمكن تساوي الصبيان[116] والشيوخ والكهول والرجال والنساء في مرض واحد في جميع الأزمنة، إنَّ دعوى هذا لعجب عجاب، فقد قال تعالى: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ أي: أحوالا فأطوار ابن آدم بعد الولادة ستة:

---

115 صحيح البخاري كتاب الأدب باب الهجرة، صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر.

116 في ب: والشبان.

1- الرضاع إلى الحول؛

2- والصبوة إلى ثمان عشرة سنة؛

3 ـ والشباب إلى ثلاثين؛

4 ـ والكهولة إلى الستين؛

5 ــ والشيخوخة إلى التسعين؛

6 ــ والهرم إلى الموت؛

والطبائع التي ركب منها ابن آدم أربعة:

الدم وهو الأصل، والصفراء، والسوداء، والبلغم، وهذه الثلاث كالمصلحات للدم بمنزلة الملح للطعام، ولكن لا يفصد أو يجرح موضع من البدن فيخرج منه إلا الدم، لكن الأخرى معنوية مندرجة كما أن الملح لا تشاهد ذاته في الطعام.

فأما الدم، فهو حار يابس كالنار [وحرارته المعنوية أشد من رطوبته يساوي الدهن في الطبيعة.][117]

وأما الصفراء فهي حارة يابسة كالنار، وأما السوداء، فهو بارد يابس كالتراب، وأما البلغم، فهو بارد رطب كالماء.

---

117 في ب

فأصل مقر الدم الكبد فمدد الأعضاء منها، ومقر الصفراء المرارة، ومقر السوداء الطحال، ومقر البلغم الرية، كل واحد من هذه الطبائع الأربع تغلب في واحد من أطوار الإنسان.

فالدم للصبيان، والصفراء للشبان، والبلغم للكهول، والسوداء للشيوخ، وقد يختلف ذلك في بعض الأشخاص وبعض الأزمنة، وسبب حدوث الأمراض والضعف في البدن بعد قدرة الله وإرادته، هيجان من بعض هذه الطبائع حتى تزيد عن قدرها المعتاد؛ فكل مرض سببه هيجان الدم أو الصفراء أو السوداء فالماء لا يضره ولا يزيده.

بل ربما كان نافعا؛ لأنه مضاد للطبيعة التي هو منها، فيُسَكِّنُ بعضَ حرارة الدم أو الصفراء أو يرطب بعض بينونة السوداء، ففي الحديث «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ[118]»؛ وذلك أن أكثر أنواع الحمى إنما يحدث من الصفراء، وهي كالنار في الطبيعة، فأكثر أمراضه يضره الماء، وبعضها لا يضره؛ لأنه قد ينهجه اشتداد حرارة باطنه من الطبائع الآخر، ومثال ذلك النار إذا وقدت تحت الماء أو اللبن يجعل يعلو أو يفيض، ولو طفئت عنه النار لسكن.

118 صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة، صحيح مسلم كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

فمن ذلك النوازل التي تكون في الخياشيم والرأس فإن شبهها حرارة في الجوف من الصفر، أي: فاقت تلك الحرارة ما كان في الجوف والصدر من الرطوبات والبرودات إلى الرأس، فتألم من ذلك؛ لأنه ليس من معادن الرطوبات.

فإذا توضأ صاحب النوازل، واستنشق الماء أو شرب المذق البارد انطفأ بعض حرارة الجوف فيتنزه ما كان في الرأس من الرطوبات إلى مقره، الذي هو الرئة، ومن هذا القبيل كثير من وجع الرأس والشقائق ونحو ذلك، وليقس ما لم يقل.

فبان من هذا أن كثيرا من الأمراض لا يُبيح ترك الطهارة المائية، فكيف يجوز للصحيح تركه في جميع الأزمنة صيفا وشتاء أو خريفا، بل الورع كما قال الفقهاء: إنه لا يترك الماء بمجرد حصول المرض حتى يستعمله مرارا ليعلم هل هو مما يضره الماء أم لا؟!

فإن كثيرا من الأمراض لا يضره الماء كما تقدم، ولأن غالب الناس ليس عندهم من علم الطب، ولا من كشف أهل البصائر ما يميِّزون به بين الأمراض التي من البلغم، وغيرها، فلزمت مداومة اختباره وتجربته مرة بعد مرة.

فإذا تحقق المضرة تركه حتى يبرأ إن كان المرض شديدا، وإلا تركه أسبوعا أو أسبوعين ثم يعاوده، ولا يزال كذلك حتى يقدر عليه،

ومن بركة الدوام على اختياره تحصل المقدرة عليه أبدا، وقد جُرب ذلك.

وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين﴾؛ لأنه كلما أصابه مرض، ولو لم يكن من أمراض البرد نسبه إلى الماء فيهجره، ولا يعود إليه، بل ذلك خروج على السنة، وخرق للإجماع، وبدعة لم يأت بها رسول، ولا كتاب، ولا سنة، وإنه لهو عادة الناس اليوم ودينهم، وينكرون على من لازم الطهارة، ويذمونه، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

13 بَلْ عَادَةً وَبِدْعَةً فِي النَارِ

أشار بذلك إلى قوله، صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، أخرجه مسلم،[119] والبيهقي[120]، والبدعة ما حدث على خلاف أمر الشارع، ودليله الخاص والعام بأن يكون الحامل عليه مجرد الشهوة.

وإذ بَــدَا مَــا أَضْــمَرَتْ نَــوَارِ

---

119 صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

120 المدخل إلى السنن الكبرى، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس في موضع النص، واللفظ الذي ذكره المؤلف للبيهقي.

وهذا من قول الفرزدق[121]

حنّـت نَـوارُ ولاتَ هَنَّـا حنّـت وبدا الذي كانتْ نَوارُ أَجنَّتِ

أي: وحين ظهر أن هجرانهم للوضوء ما هو إلا لمجرد البدعة، وفسر ذلك بقوله:

14 وآضت البدعة دينَ البشَرِ مِن عَالِمِ وَجَاهِلِ ذِي أَشَرِ

أي: وصار خلاف الشرع هو دين الناس، واستوى ذلك في العالم والجاهل الأشر أي: صاحب البطر والطغيان.

أشار بذلك إلى قوله، صلى الله عليه وسلم: : <لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة فإذا تركت البدعة تقول الناس تركت السنة.>[122]

قال الشعراني: "وذلك لتوارث فروعهم البدع من أصولهم، فلما طال زمن العمل بالبدعة ظنوا أنها سنة؛ وقال هشام بن عروة: لا تسألوا أهل البدع اليوم عما أحدثوا فقد أحضروا له جوابا، ولكن سلوهم عن السنة، فإنهم لا يعرفونها، فقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وصارت البدعة سنة، والسنة بدعة، وعن حذيفة "أَنَّهُ أَخَذَ

---

121 ويليه:

لما رأت ماء السلى مشروباً والفرث بعصر في الإناء أرنت

اختلف في قائل البيتين فقيل شبيب بن جعل التغلبي وهو جاهلي، وقيل هو حجل بن نضلة وهو جاهلي أيضاً، وهذا هو قول أبي عبيد وتبعه ابن قتيبة في الشعر والشعراء97/1، وفي مغني اللبيب أنها لابن عصفور.

هذا الحديث أورده الشعراني في تنبيه المغترين. 122

حَصَاةً بَيْضَاءَ فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدِ اسْتَضَاءَ إِضَاءَةَ هَذِهِ، ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَجَعَلَ يَذَرُهُ عَلَى الْحَصَاةِ حَتَّى وَارَاهَا[123]".

15 وصَارَ ذاكَ مِنْ حديث البَحْرِ فِـيِ سَـاكِنِ البَّـرِ وَأَهْـلِ البَحْـرِ

وحديث البحر "حدث عن البحر ولا حرج[124]" أي: كلما وصفته به، فهو فوق ذلك لا كذب ولا ذنب عليك، يضرب للتكثير، يقولون: هو كحديث البحر.

قلت: وقد شاهدت أهل البر يظل أحدهم، وربما يبيت يسقي أمواله إبله أو بقره أو غنمه عند البئر، ينقل الماء ويباشره بيديه ورجليه ويتطاير على جميع جسده، بل ربما غسل رأسه وذراعيه وساقيه لدابة عائفة، لكي تشرب، فإذا أراد الصلاة تيمم لها، ولا يهمه الوضوء، وبالله العياذ، وإليه الملاذ.

---

123 البدع لابن وضاح باب في نقض عرى الإسلام ودفن الدين وإظهار البدع، وتكملة الحديث "ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَيَجِيئَنَّ أَقْوَامٌ يَدْفِنُونَ الدِّينَ كَمَا دُفِنَتْ هَذِهِ الْحَصَاةُ , وَلَيَسْلُكُنَّ طَرِيقَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ , وَحَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ".

124 جاء في التمثيل والمحاضرة للثعالبي أن هذا اللفظ مرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الصحيح أنه مما أثر عن العرب ويكثر وروده في كتب الأدب، ومن صيغه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج" ومعن هو معن ابن زائدة جاء في المجالسة وجواهر العلم للدينوري 95/5 "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، فَاسْتَحْمَلَهُ بَعِيرًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ! أَعْطِهِ بَعِيرًا وَبَغْلًا وَبِرْذَوْنًا وَفَرَسًا وَعَيْرًا وَجَارِيَةً، وَلَوْ عَرَفْتُ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَ. وَكَانَ يُقَالُ: حَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجٌ، وَحَدِّثْ عَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجٌ."

وشاهدت أيضا أهلَ البحر يظل أحدهم يعوم فيه، وربما عاموا ليلاً في الشتاء، فإذا خرجوا منه مرَّغوا أيديهم في الغبار الأسود، ومسحوا به وجوههم للتيمم، وهاتان المشاهدتان لا يقدر أحد أن ينكرهما لكثرة وقوعهما، وهما أدل دليل على أنهم تركوا الطهارة زهدا فيها لا لخوف ضرر الماء.

وربما يعتذر بعضهم بأن رأسه يضره الماء دون سائر جسده، وذلك كذب محض، فكيف يمكن أن يعوم، ولا يتطاير الماء على أذنيه وعينيه بل وربما ينغمس فيه كله بغير قصد [أو بقصد][125]، وأيضا وقد أفتى بعض العلماء بأنه إن حقق ذلك يجب عليه استعمال الماء، ويجعل على رأسه عِمامة يمسح عليها كالجبيرة، كما يأتي في قول الناظم.

وربما قالوا: ماء العبادة أضر من ماء العادة، فليت شعري من أين لهم هذه المقالة؟!، لم تنقل عن أحد من السلف، ولا وجدت في كتاب، ولا أظنها إلا من إلقاء الشيطان وحديثه الذي يخذل به أوليائه، وأيضا فإن العقل والعادة يكذبانها والشرع يبطلها.

فكيف يدعي من له أدنى تمييز أن من أخذ ماء قليلا وسخنه على النار، وجلس به في دفء وغسل به بعض أطرافه غسلا خفيفا يسيرا يكفي منه سيلان الماء على العضو لا عنه، وكلما غسل عضوا مسحه بثوب ثم يجلس في ذلك الدفء حتى تجف أعضاؤه، أو يجففها على

النار؛، أن هذا أضر ممن يقتحم البحور في البرد مجردا من لباسه فيظل يتخبط فيها عبثا، أو يسوق بقرا أو يحمل أثاثا أو غنما على عنقه، ويزعم أن ذلك الوضوء أضر ممن يظل يسقي إبله وبعض أمواله من البير، وينقل لها الماء، وترشه الإبل بأفواهها، وهو متشمر أو منسلخ من جل ثيابه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين فقد عم الهوى فأعمى، وقد كثر الجهل فأصمى، ولا ناهي ولا منتهي، واستوى في ذلك القوي والوهي، وأشار إلى ذلك بقوله:

16 ولَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحُجُونِ والصَّفَا مُنْتَصِراً لِلدِّينِ مِنْ ذَوِي الصَّفَا

الحجون[126] جبل بأعلى مكة شرفها الله، والصفا من مشاعر الحج جبل صغير بأصل أبي قبيس، على ظهره دار فيحاء، وكنى بهما عن المشرق والمغرب أي: لم يكن في الأرض كلها من ينتصر لهذا الدين المضيع لأن أصله وعماده الصلاة، وقد ضيعت بترك شرطها.

---

126 قال الزبيدي في تاج العروس:" (والحَجونُ: الكسلانُ)؛) مِن حَجِنَ بالدَّارِ إذا أَقامَ.

(و) أَيْضاً: (جَبَلٌ بمَعْلاةِ مكَّةَ) مُشْرِفٌ ممَّا يلِي شِعْب الخرَّازِيْن، فِيهِ اعْوِجاجٌ، عنْدَه مَقْبرَةٌ.

قالَ السَّهيليُّ: على فَرْسَخٍ وثلثين من مكَّةَ؛ قالَ الأَعْشَى:

فَمَا أَنتَ مِن أَهْلِ الحَجُونِ وَلَا الصَّفا ولا لَك حَقُّ الشِّرْبِ فِي ماءِ زَمْزَم وقالَ عَمْرُو بنُ مُضاض الجُرْهُميُّ يتَأَسَّفُ على البيْتِ:

كأَنْ لم يكنْ بَين الحَجونِ إلى الصَّفا أَنِيسٌ وَلم يَسْمُر بمكَّة سامِرُ

وهو بفتْحِ الحاءِ.

قالَ شَيْخُنا، رحِمَه اللَّهُ تعالَى: وبعضُ المُتَشدِّقينَ يقولُه بضمِّ الحاءِ وَلَا أَصْل لَهُ. "

وأشار بالبيت إلى قول عمرو بن مضاض الجرهمي[127]، وكان جرهم سكان الحرم فأجلاهم منه خزاعة إلى اليمن فرجع بعض إبله إلى

127 جاء في جمهرة أشعار قصة العرب قصة غريبة مضمونها أن هذين البيتين لجنيٍ اسمه السفاح بن الرقراق والقصة هي: وأخبرني المفضل عن أبيه عن جده قال: أخبرني العلاء بن ميمون الآمدي عن أبيه قال: ركبت بحر الخزر أريد ناجورا حتى إذا ما كنت منها غير بعيد لجج مركبنا، فاستاقته ريح الشمال شهراً في اللجة، ثم انكسر بنا، فوقعت أنا ورجلٌ من قريشٍ إلى جزيرة في البحر ليس بها أنيس، فجعلنا نطوف، ونطمع في النجاة إذ أشرفنا على هوةٍ، وإذا بشيخٍ مستندٍ إلى شجرة عظيمة، فلما رآنا تحشحش، وأناف إلينا، ففزعنا منه، ثم دنونا منه، وقلنا: السلام عليك أيهاالشيخ! قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فأنسنا به، فقال: ما خطبكما؟ فأخبرناه، فضحك وقال: ما وطىء هذا الموضع أحدٌ من ولد آدم قط، فمن أنتما؟ قلنا: من العرب! قال: بأبي وأمي العرب؛ فمن أيها؟ قلت: أما أنا فرجل من خزاعة، وأما صاحبي فمن قريش. قال: بأبي قريش وأحمدها! ثم قال: يا أخا خزاعة هل تدري من القائل: الطويل

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر.

قلت: نعم! ذلك الحرث بن مضاض الجرهمي، قال: ذلك مؤديها، وأنا قائلها في الحرب التي كانت بينكم، معشر خزاعة، وبين جرهم. يا أخا قريش! أولد عبد المطلب بن هاشم؟ قلت: أين يذهب بك، رحمك الله! فربا وعظم وقال: أرى زماناً قد تقارب إبانه، أفولد ابنه عبد الله؟ قلنا: وأين يذهب بك؟ إنك لتسألنا مسألة من كان في الموتى. قال: فتزايد ثم قال: فابنه محمد الهادي؟ قلت: هيهات! مات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، منذ أربعين سنة! قال: فشهق حتى ظننا أن نفسه قد خرجت، وانخفض حتى صار كالفرخ، وأنشأ يقول: الكامل

ولَرُبَّ راجٍ حِيْلَ دونَ رَجائهِ وَمُؤمِّلٍ ذَهَبَتْ بِهِ الآمالُ

أوكاره من مكة فتبعه، فلما أشرف على مكة، وبدت له أعلامها وأباطحها وكداها، خاف العدو ورجع وأنشأ يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر[128]

ثم جعل ينوح ويبكي حتى بل دمعه لحيته، فبكينا لبكائه، ثم قال: ويحكما! فمن ولي الأمر بعده؟ قلنا: أبو بكر الصديق، وهو رجل من خير أصحابه، [من قريش] قال: ثم من؟ قلنا: عمر بن الخطاب، قال: أفمن قومه؟ قلنا: نعم. قال: أما إن العرب لا تزال بخيرٍ ما فعلت ذلك. قلنا: أيها الشيخ قد سألتنا فأخبرناك، فأخبرنا من أنت وما شأنك؟ فقال: أنا السفاح بن الرقراق الجني لم أزل مؤمناً بالله وبرسله ومصدقاً، وكنت أعرف التوراة والإنجيل، وكنت أرجو أن أرى محمداً، صلى الله عليه وسلم، فلما تفرقت الجن وأطلقت الطوالق المقيدة من وقت سليمان، عليه السلام، اختبأت نفسي في هذه الجزيرة لعبادة الله تعالى وتوحيده وانتظار نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، وآليت على نفسي أن لا أبراح ههنا حتى أسمع بخروجه، ولقد تقاصرت أعمار الآدميين، وإنما صرت فيها منذ أربعمائة سنةٍ، وعبد منافٍ إذ ذاك غلامٌ يفعةٌ ما ظننت أنه ولد له ولد، وذلك أنا نجد علم الأحداث، ولا يعلم الآجال إلا الله تعالى، والخير بيده، وأما أنتما أيها الرجلان، فبينكما وبين الآدميين من الغامر مسيرة أكثر من سنة، ولكن خذا هذا العود، فاكتفلا به كالدابة إذا نام الناس، فإنه يؤديكما إلى بلدكما، واقرئا محمداً مني السلام، فإني طامع بجوار قبره. قال: ففعلنا ما أمرنا به، فأصبحنا في مصلى آمد.

128 بقية الأبيات كما في نهاية الأرب الذي توافق روايته الرواية التي أتى بها المؤلف:

17 والمُصْطَفَى سُنّتُه ضَبَغْطَا

بالغين المهملة والمعجمة كلمة يفزع بها الصبيان، قاله في القاموس[129]، يعني، ولما صارت سنة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، فعلة يُفزع بها الناس، ويحذرون منها، فيقول أكابرهم لأصاغرهم: إياكم والطهارة، فإنها قاتلة وحرام عليكم ملازمتها.

وقائلة والدّمع سكب مبادر وقد شرقت بالدّمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب منّى كأنّما يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى! نحن كنّا أهلها فأزالنا صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت بعزّ فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعزّزنا فأعظم بملكنا فليس لحىّ غيرنا ثمّ فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته فأبناؤه منّا ونحن الأصاهر
فإن تنثن الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك يا للنّاس تجرى المقادر
أقول إذا نام الحلىّ ولم أنم: أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدّلت منها أوجها لا أحبّها قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنّا بغبطة بذلك عضّتنا السّنون الغوابر
وبدّلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى والعدوّ المكاشر
فسحّت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه يظلّ به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منه فليست تغادر.

129 القاموس المحيط باب الطاء فصل الضاد.

قمت لها مخطئا من أخطأ

أي: نهضت أبين ضلال المخطئ في تركه الصلاة بترك شرطها بلا موجب.

18 أطاعن البدعة بالأسنة وجاء ما جاء بمحيي السنة

أطعن في نحور أهل البدعة بأسنة براهين الشريعة القاطعة في قوله، صلى الله عليه وسلم: : «رحم الله خلفائي»، قيل "وما خلفاؤك يا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، " قال: «الذين يحنسون سنتي ويعلمونها الناس»[130]، وقال، صلى الله عليه وسلم: «الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ»[131].

والسنة ما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والصحابة والسلف الصالح بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا﴾ والحديث: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي»، وفي قول الناظم ما جاء إبهام يقصد به التعظيم نحو: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾.

19 في رجز مطرز الأبيات وإنما الأعمال بالنيات

---

130 لم أقف على هذا اللفظ بعينه، ولكين يوجد لفظ قريب منه وهو عن علي رضي الله عنه أنه قال : اللهمَّ ارحم خلفائي . قلنا : من خلفاؤكَ ؟ قال : الذين يروونَ أحاديثي ، ويُعلِّمونها الناسَ؛ أخرجه الرامهرمزي في ((المحدث الفاصل)) (ص163)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (111/1)، والديلمي في ((الفردوس)) (1960) باختلاف يسير.

131 الإبانة الكبرى لابن بطة باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، والأخذ بها، وفضل من لزمها.

التطريز جعل الطراز للثوب أي: الأعلام أشار به إلى ما في نظمه من محسنات الألفاظ والبديع وأنواع الجناس والتضمين، فقلَّما يوجد بيت لم يشر فيه إلى حديث أو حكم أو مثل أو شعر.

وقوله: «وإنما الأعمال بالنيات» أول حديث صحيح وآخره «وإنما لكل امرئ ما نوى[132]»، ولعله أشار به إلى أن نيته في هذا النظم إنما هي لإحياء السنة.

ومعنى الحديث أن اعتبار الأعمال وصحة أحكامها في أمور الدين إنما هي بالنيات، وإن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح، وهي التي يثاب عليها إن صلحت، ويعاقب عليها إن فسدت، كما قال، صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم» أي: نظره إلى نيات القلوب فيقبل من الأعمال ما قصدت القلوب فيها إلى خير، ويرد ما قصدت منها إلى شر، وقال، صلى الله عليه وسلم: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[133].

20 سَمَيْتُهُ بِسُلّمِ الإِظْهَارِ فِي الفَرْقِ بَيْنِ اللَيْلِ وَالنهارِ

132 صحيح البخاري كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ صحيح مسلم كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

133 في مسند أحمد ـ المكثرون من الصحابة ـ مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه يُبْعَثُ النَّاسُ ـ وَرُبَّمَا قَالَ شَرِيكٌ: يُحْشَرُ النَّاسُ ـ عَلَى نِيَّاتِهِمْ.

21 لِمَا غَدَا العَالِمُ مِثْلَ الجَاهِلِ وصار غَيْرُ ذَاهِلٍ كَالذَاهِلِ

والسلم آلة الرقي، كنى عن البدعة بالليل وعن السنة بالنهار، وفيه أيضا تهكم بهؤلاء التاركين للصلاة بسبب ترك شرطها، لأن العالم إذا لم ينتفع بعلمه عومل معاملة الجاهل قال السيوطي:

وليس ما يخاطب الذكي به كما يخاطب الغبي

يعني أن الذكي يعامل بالكناية والإشارة والتلويح، وأما الغبي فبالتعبير والإيضاح والتصريح، ثم قال:

ويجعل العالم مثل الجاهل أن سمة الجهل عليه تنجلي

كقولنا لمسلم وقد فسق يا أيها المسلم إن الموت حق

أي: فكذلك هؤلاء لما لم ينتفعوا بعلمهم وتركوا الصلاة بتركهم شرطها صاروا كأنهم جهال لوجوبها، واشتراط صحة أدائها بالطهارة فحق علينا أن نقول لهم يا أيها المسلمون الصلاة واجبة والطهارة بالماء لها شرط، ولا يسقط إلا عند الضرر المبيح لذلك، ولا يترك رأسا، ولذا قال:

22 فقلت واللهُ علَيهِ المُعْتَمَدْ ما ذل من بالله عز اعتمد

23 يا أيها النّوام فلتنتبهوا وعن عمايات النفوس فانتهوا

24 الماء أصل والتراب نائب توبوا من الضلال فاز التائب[134]

134 في بعض النسخ أن هذا البيت سابق للبيت الذي قبله.

هذا ملحوق؛ لما تقدم من التهكم بهؤلاء التاركين للصلاة بترك شرطها فجعلهم كالجهال النوام لم ينتفعوا بعلمهم، أي: انتبهوا من نوم الغفلة عن مراعات الديانات انتهوا عن عمايات الجهل في الطاعات.

واعلموا أن الماء هو الأصل في الطهارة، والتيمم بدله لقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا ماء﴾، الآية فتوبوا إلى الله من عصيانكم في ترك الصلاة بترك شرطها لتفوزوا بمحبته، كأنه أشار لقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، وأشار بقوله: والله عليه المعتمد إلخ.

الذي في البيتين المتقدمين إلى الحديث الرباني: «لا يعتمد علي عبد من عبادي أعلم ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من كيدهم فرجا ومخرجا ولا يعتمد عبد من عبادي علي غيري أعلم من نيته ذلك إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه»[135]،

وقال مولود بن أحمد الجواد:

ما ذل ما ذل من بالله عز وكم ذل العزيز بأعمام وأخوال

135 أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء في حديثه عن وهب بن منبه ،25/4.

"فصل، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: "كانت فريضة الوضوء بمكة ونزول آيته بالمدينة سنة ست من الهجرة في غزوة المريسع"[136].

وعن زيد بن حارثة أنه قال: "حين فرضت الصلاة جاء جبريل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فعلمه الوضوء"[137].

وفي الحديث: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ»[138]؛

وفيه: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»[139]؛ كما أمر الله

وفيه: «لَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوَضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[140]؛

136 فقد ذكر القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه أحكام القرآن عند الكلام في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة :لا خلاف بين العلماء أن الآية مدنية كما تقدم ذكره في سورة النساء، وأنها نزلت في قصة عائشة، كما أنه لا خلاف أن الوضوء كان مفعولاً قبل نزولها غير متلو، ولذلك قال علماؤنا: إن الوضوء كان بمكة سنة، معناه كان مفعولاً بالسنة، فأما حكمه فلم يكن قط إلا فرضاً .انتهى. وهذا الذي ذكره ابن العربي من كونه كان مفروضاً قد نسبه الحطاب في مواهب الجليل إلى الجمهور، ونقل عن بعض العلماء أن الوضوء في أول الإسلام كان سنة وأنه فرض بالمدينة، ونسبه الصنعاني في سبل السلام إلى المحققين من أهل العلم، وقال :لعدم النص الناهض على خلافه.

137 مسند أحمد تتمة مسند الأنصار حديث أسامة بن زيد حب رسول الله.

138 سنن النسائي كتاب الطهارة باب فرض الوضوء.

139 صحيح البخاري كتاب الحيل باب في الصلاة.

140 مصنف ابن أبي شبية كتاب الصلاة في المحافظة على الوضوء وفضله.

وفيه: «مَنْ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كِفْلَانِ»[141]؛

وفيه: إذا مسح العبد رأسه بالماء غفر الله له بكل شعرة ذنبا قيل يا رسول الله أفرأيت إن كانت الذنوب أقل من ذلك، قال: إذًا يبدلها الله كلها حسنات، وما من قطرة تقطر من رؤوسكم ولحاكم إلا ولها ذنب يغفر"[142]هـ من كشف الغمة ووجوب الوضوء مما علم من الدين ضرورة؛ فلامعنى لجلب النصوص إلا على وجه تهكم لهؤلاء التاركين الصلاة بتركه؛ لأنهم كالجهال.

فصل، قال الشعراني: "كانت عائشة، رضي الله عنها، تقول: خرجنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في بعض أسفاره حتى إذا كنا في البيداء أو بدأت الجيش انقطع عقدٌ لي فأقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على التماسه، وليس معهم ماء، فعاتبني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول، وجعل بيده في خاصرتي، فلم يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أصبح على غير ماء، وقد أرسل ناسا في طلب العقد، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوه شكوا إليه ذلك فنزلت آية التيمم، فصلى الناس بالتيمم فقام أسيد بن حضير، وكان من النقباء، فقال: ما هي أول بركاتكم علينا يا آل أبي

141 المعجم الأوسط من اسمه محمد.

142 كشف الغمة 53/1.

بكر، لقد بارك الله، تعالى، للناس فيكم فجزاكم الله خيرا فوالله ما نزل بكم أمر إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة".[143]

قال ابن رشد:[144] قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم

---

143 نفس المصدر 77/1؛ وأصله خرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم.

144 مؤلفات ابن رشد

استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (صغرى) – استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (كبرى) – استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية من غير آلة من الآلات (وسطى) – استقبال عين القبلة وجهتها والفرق بين العين والجهة (شرح لكلام الغزالي في الإحياء عند السفر) – البشارة الهنيئة بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة – تأليف في القراءات – تحرير الكلام في مسائل الالتزام – تحرير المقالة شرح نظم نظائر الرسالة لابن غازي – تعليق على ابن الحاجب (يتضمن ما أطلقه من خلاف والتنبيه على ما خالف فيه المشهور والمذهب، وصل إلى سنن الصلاة) – تعليق على الجواهر (وصل إلى شروط الصلاة) – تعليق على المسائل التي انفرد بها مالك – تعليق على المسائل التي لم يقف فيها على نص في المذهب – تعليق على جميع المواضع التي غلط فيها صاحب القاموس المحيط صاحب الصحاح – تعليق على حدود ابن عرفة (يتضمن الكلام على تعريفاته والتنبيه على بعض اعتراضاته من كلامه، كتب منه يسيرا) – تعليق على ما في كلام بهرام في شروحه الثلاثة مما فيه الإشكال ومخالفة للمنقول (كتب منه يسيرا) – تعليق على مواضع من أثناء ابن الحاجب – تعليق يذكر فيه الألفاظ العربية التي فسر صاحب الصحاح كل لفظ منها بمرادفه – تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب (جمع بين مؤلفي ابن حجر والسيوطي وزاد عليهما) – تفسير القرآن الكريم (وصل سورة الأعراف) – حاشية على إحياء علوم الدين (أتم حوالي ثلاثة أرباع منه ووصل إلى آخر

وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا﴾" الآية عند مالك على تلاوتها دون تقرير التقديم والتأخر أي: مرضى لا تقدرون على مس الماء أو على من يناولكم إياهم؛ لأن المرض يتعذر معه مس الماء والوصول إليه غالبا، فاكتفى بذكر المرض وفهم المراد منه.

كما فهم من قوله، عز وجل: "فإن كنتم مرضى أو على سفر فعدة من أيام أخر"، والمعنى فأفطر وإلا له إذا لم يفطر في المرض والسفر فلا قضاء عليه وقوله: أو على سفر يريد غير واجدين الماء غالبا، ولما كان الغالب في الحضر وجود الماء جزم شرط عدمه، فقال: فإن لم تجدوا ماء، فقيد عدم الوجود راجع للضر فقط، فمذهب مالك أن المريض الذي لا يقدر على مس الماء يتيمم، وإن كان واجدا له، وكذلك

ذم الجاه) – حاشية على الإرشاد (وصل إلى الاستقبال) – حاشية على البيضاوي (لم تتم) – حاشية على التوضيح في النحو وشرح خالد الأزهري عليه – حاشية على الشامل (وصل إلى شروط الصلاة) – حاشية على قطر الندى – شرح القواعد لعياض (وصل أثناء القاعدة الثانية) – شرح مختصر الحوفي (وصل إلى المناسخات) – شرح مناسك خليل – عمدة الراوين في أحكام الطواعين – فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام – قرة العين شرح ورقات إمام الحرمين – القول المتين أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين – متممة الآجرومية – مختصر إعراب الألفية لخالد الأزهري – مواهب الجليل شرح مختصر خليل – هداية السالك المحتاج لبيان فعل المعتمر والحاج.

الصحيح الحاضر إن عدم الماء، وأما من حمل الآية على التقديم والتأخير فلا يجيز التيمم للمريض مع وجود الماء، وإن على السفر والمرض".[145]

قال ابن رشد: والذي أقول به إن "أو" في قوله تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ أنها بمعنى الواو فتنفي الآية على ظاهرها بلا تقديم ولا تأخير ولا إضمار بنية لا إشكال فيها، وعلى هذا التأويل أيضا لا يكون المريض الواجد للماء، ولو لم يقدر عليه والحاضر الصحيح العادم الماء من أهل التيمم "[146]

وقال في موضع آخر من المقدمات: "أجمع العلماء على وجوب التيمم على المريض والمسافر إذا عدم الماء لأن الأقرب لهما مع عدم الماء نص في الآية لا يحتمل التأويل، واختلفوا في الحاضر الصحيح العادم للماء والمريض الواجد للماء، ولم يقدر على مسه، هل هما من أهل التيمم أم لا؟ فمن حمل الآية على ظاهرها، ولم يقدر فيها تقديما وتأخيرا رآهما من أهل التيمم، لأن شرط عدم الماء في الآية يعود على الحاضر، ويتناول إضماره المريض أيضا.

---

145 المقدمات الممهدات؛ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ)؛ تحقيق: الدكتور محمد حجي؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م؛ عدد الأجزاء: 3 ج/1 72.

146 نفس المصدر 73/1,

ومن قدر في الآية تقديما وتأخيرا لم يرهما من أهل التيمم لأن شرط عدم الماء على تأويل التقديم والتأخير لا يعود إلا على المرض والسفر، وكذلك إذا جعلت أو فيها بمعنى الواو فلا يكونان من أهل التيمم، وهو أظهر من التأويلين المتقدمين لأن التلاوة تبقى على ظاهرها دون تقديم وتأخير، ولا تحتاج إلى إضمار فتأتي بينه لا إشكال فيها ولا احتمال هـ من المقدمات.[147]

قلت: إن ابن رشد هو فحل مذهب الإمام مالك، وحامل رايته، وكان معروفا بالرواية مع صحة الرواية، ففيه وإليه المفزع في سائر أقطار الأندلس والمغرب، وعليه جل اعتماد الشيخ خليل، انظر الديباج المذهب في أخبار علماء المذهب.[148]

---

147 نفس المصدر 111/1.

148 قال العلامة إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ) في كتابه الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب في ترجمته لحافظ المذهب ابن رشد الجد المتوفى (520هـ)

" محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي يكنى أبا الوليد، قرطبي زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه. وكان إليه المفزع في المشكلات بصيرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم. وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية كثير التصانيف مطبوعها.

ألف كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل وهو كتاب عظيم نيف على عشرين مجلدا وكتاب المقدمات لأوائل كتب

فإذا كان ابن رشد يرى أن المريض الواجد للماء لا يجوز له التيمم، وإن لم يقدر على مس الماء، فلا وجه لهؤلاء الذين يزعمون أنهم على مذهب الإمام مالك في تركهم الوضوء مع صحة أبدانهم في جميع الأزمنة، إلا مجرد التهاون بالدين والجهل بالسنة والتقليد للعوائد الفاسدة، فنعوذ بالله مما ابتلاهم الله به وفي كشف الغمة كان ابن عمر،

المدونة واختصارا لكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى وتهذيبه لكتب الطحاوي في مشكل الآثار وأجزاء كثيرة في فنون من العلم مختلفة.

وكان مطبوعا في هذا الباب حسن العلم والرواية كثير الدين كثير الحياء قليل الكلام مسمتا نزها مقدما عند أمير المسلمين عظيم المنزلة معتمدا في العظائم أيام حياته.

ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ثم استعفى منها سنة خمس عشرة أثر الهيج الكائن بها من العامة وأعفي وزاد جلالة ومنزلة. وكان صاحب الصلاة أيضا في المسجد الجامع وإليه كانت الرحلة للتفقه من أقطار الأندلس مدة حياته. كان قد تفقه بأبي جعفر بن رزق وعليه اعتماده وبنظرائه من فقهاء بلده وسمع الجياني وأبا عبد الله بن فرج وأبا مروان بن سراج وابن أبي العافية الجوهري وأجاز له العذري.

وممن أخذ عن القاضي أبي الوليد المذكور رضي الله عنه: القاضي الجليل أبو الفضل: عياض رحمه الله تعالى. قال في الغنية ـ له ـ جالسته كثيرا وسألته واستفدت منه. وكان القاضي أبو الوليد رحمه الله تعالى يصوم يوم الجمعة دائما في الحضر والسفر.

توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الأحد ودفن عشية الحادي عشر لذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة ودفن بمقبرة العباس وصلى عليه ابنه القاسم وشهده جمع عظيم من الناس وكان الثناء عليه حسنا جميلا. ومولده في شوال سنة خمس وأربعمائة." الديباج250/2.

رضي الله عنه، لا يرى التيمم للمحموم ويقول كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «يقول الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء»[149].

فصل: قال ابن رشد: "ذهب بعض العلماء إلى أن الجنب لا رخصة له في التيمم، وهو مذهب عمر بن الخطاب، وكان ابن مسعود يقوله ثم رجع عنه، وسأل رجل عمر بن الخطاب فقال: إني أجنبت؛ فأمره أن لا يصلي، فقال عمار بن ياسر: أما تذكرت يا عمر إذ كنا في سرية على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأجنبت أنا وأنت، فأما أنا فتمعكت في التراب، وفي رواية فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة فذكرت ذلك للنبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما يكفيك هذا فضرب بكفيه الأرض، فنفخ فيهما فمسح وجهه وكفيه، فلم يقنع عمر بقول عمار فخشي أن يكون قد دخلا عليه وهم فيما حدث به"[150].

قال ابن رشد: "وذهب بعضهم إلى أن الجنب إذا لم يقدر على الغسل توضأ وصلى به؛ ودليله ما روي عن عمرو بن العاص أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمره على جيش ذات الرقاع، فلما قدم على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جعل يخبره بما فعل في غزوته، فقال، صلى الله عليه وسلم: أصابني احتلام في ليلة باردة، ولم يمر على

149 السنن الكبرى للبيهقي جماع أبواب التيمم باب المحموم ومن في معناه لا يتيمم عند وجود الماء.

150 المقدمات لابن رشد 115/1.

وجهي مثلها قط، فخيرت نفسي بين الاغتسال فأموت أو أقبل رخصة الله، عز وجل، فقبلت رخصة الله، وعلمت أن الله أرحم لي فتوضأت ثم صليت فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أحسنت ما أحب أنك تركت شيئا فعلته، ولو كنت في القوم لصنعت كما صنعت هـ من المقدمات[151].

خاتمة: قال الغزالي: "مذهب الإمام ـ مالك ـ أن الماء، وإن قل لا يتنجس إلا بالتغير؛ إذ الحاجة ماسة إليه،"[152] قال: ومحل الشك فيه أن لو كانت الكثرة مشروطة في كمال قال الشافعي: لكان أولى المواضيع بتعسر الطهارة في مكة والمدينة؛ إذ لا تكثر فيها المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة من أول عصر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى آخر عصر الصحابة، رضي الله عنهم، ولم تنقل عنهم واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء من النجاسات.

وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون من النجاسات، وقد توضأ عمر في جرة نصرانية ونجاسة النصرانية، وآنيتها مما يغلب على الظن"... إلى إن قال: "ولم تزل الحمامات في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون، ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء، ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة

151 نفس المصدر 115/1.

152 إحياء علوم الدين 129/1.

كانت تتوارد عليها".. إلى أن قال: "والمزيل للوسواس أن تعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين، فما لم تشاهد منه عين نجاسة ولا تعلمها بيقين فاستعمله، ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباطات إلى تقدير النجاسات"[153] اهـ، من الإحياء.

فصل: وقال الشعراني: جاء رجل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال يا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إنما يستقي لك من بير بضاع، وهي بير يصرح فيها لحوم الكلاب، وخرق الحيض، وعذرة الناس، والأتن، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية إلا ما غلب على لونه، وريحه، وطعمه قال قتيبة ابن سعد، رضي الله عنه: سألت فيم بير بضاعة عن عمقها؟ قال: أكثر ما يكون فيها الماء إلى العانة، قلت: فإذا نقص؟ قال: دون العورة.

وقال، صلى الله عليه وسلم: « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث»، وفي رواية لم ينجس.

وتوضأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مرة أخرى من جلد لم يدبغ وقال: «إن الله جعل المَاء طهُورا».[154]

وتوضأ كثيرا من أواني النصارى؛

---

153 نفس المصدر 130/1.

154 مصنف عبد الرزاق كتاب الطهارة باب ما جاء في جلد مالم يدبغ.

واغتسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وميمونة من إناء واحد فيه أثر العجين[155] وكان، صلى الله عليه وسلم، يغتسل بخطمي ولا يستعمل، وهو جنب يجتزئ بذلك يعني يكتفي بالماء الذي فيه الخطمي، ولا يستعمل بعده ماء آخر، والخطمي نبات له رغوة إذا جعل في الماء كالصابون نافع لبعض الأمراض، وكان الصحابة، رضي الله عنهم، يدخلون أيديهم في الإناء، وهم جنب ما لم يكن عليها قذر، وعن ابن مسعود قال لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ألحقني بماء إداوتك أو ركوتك قلت: نبيذ قال: ثمرة طيبة، وماء طهور فتوضأ منه، وضابط الباب أن كل ما يقذر استعماله البدن لا ينبغي التطهير به لانتفاء المقصود الذي هو النظافة، والله أعلم هـ. من كشف الغمة.

وقال الشعراني: "والحاصل أن من قدر على الماء الخالص أو المتغير يسيرا، ولو بطرح تمر أو زبيب فيه أن لا يتيمم بالتراب فالمراد بالنبيذ الذي قال أبو حنيفة بالوضوء به تبعا للفظ الشارع ما لم يكن فقاعا، ولم يبلغ حد الإسكار: اهـ من الميزان.

وفي الذهب الإبريز عند قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ما نصه: " قال بعضهم: إن الله، تعالى، خلق المال طهورا كما خلق الماء طهور فكما لا ينجسه إلا ما غيره كذلك لا ينجس المال إلا ما غيره إلا أن الشارع لما رأى تحافظ النفوس في النجاسات

155 صحيح البخاري كتاب الغسل باب الغسل بالصاع ونحوه.

تساهل فيها، ولما رأى تساهلها في المال تحافظ فيها فاستعمل الورع في هذه دون تلك".

وقال الشعراني: قالت أم قيس: أتيت بابن لي صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأجلسه في حجره فبال على ثوب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخذته أخذا عنيفا فنهاني عن ذلك فدعا بماء ونضحه، ولم يغسله، وكانت الأنصار، وغيرهم يرسلون بالصبيان إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كثيرا فيبرك عليهم فيبولون عليه فلم يتغير عليهم وكان، صلى الله عليه وسلم، يقول: لا تغسلوا من بول الذكر، واغسلوا من بول الأنثى، وكان علي، كرم الله وجهه، يقول: إذا طعم الصبي غير اللبن، واستغنى عنه غسل من بوله، ودخل أعرابي المسجد فكشف عن فرجه ليبول فصاح به الناس حتى علا الصوت فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: اتركوه فتركوه فبال، فأمر بصب الماء عليه، ثم قال: إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، وعن ابن عباس قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إنما المني بمنزلة المخاط فأمطه عنك، ولو بعود، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يغسل المني الطري من ثوبه، ويخرج إلى الصلاة، ويقع الماء من ثوبه، وتارة أفركه بظفره إذا يبس، وبات عندها، رضي الله عنها، ضيف فأمرت له بملحفة صفراء فاحتلم فيها فاستحيا أن يرسل بها إليها، وبها أثر الاحتلام فغمسها في

الماء ثم أرسل بها إليها، فقالت: أفسد علينا ثوبنا، إنه كان يكفيه أن يفركه بأصابعه.

وفيه رواية ما كنت أفركه من ثوب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيصلي فيه، وقالت: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يخرج وعليه الملاءة التي يتغطى بها هو وأهله فيجد فيها لمعة من الحيض فيقبض عليها مع ما يليها ثم يصرها، ويرسلها إلينا فيقول: اغسلوها، وأجفوها ثم أرسلوها، فنفعل بها ذلك، وقالت: لقد كنت أحيض عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثلاث حيض لا أغسل لي ثوبا.

وكانت، رضي الله عنها، إذا أصاب ثوبها دم حيض بصقت عليه ثم فركته بعود حتى تزول عينه، وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يسامح بعض الأعراب في عدم الغسل من أثر الغائط، وقال علي، كرم الله وجهه: سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن المذي يصيب الثوب، فقال: يكفيك أن تأخذ كفا من الماء فتنضح به حيث ترى أنه أصاب من ثوبك اهـ من كشف الغمة.

25 وطلب القدرة بالمطاق عليه واجب على الإطلاق

يعني أنه يجب على كل مكلف أن يطلب القدرة على استعمال الماء وجوبا غير مقيد، كما يجب عليه طلب عين الماء لكل صلاة إلا أن ما

يستعان به على القدرة على الماء أنواع كثيرة لا يلزم المكلف إلا ما في طوقه منها مما يأتي، ولذا قال بالمطاق عليه:

26 نَصَ عَلَيْهِ غَيْرُ مَا كِتَابِ فَسَلْ بِهِ الصِّبْيَانَ فِي الكتَابِ

ما زائدة للتكثير أي: نصت كتب كثيرة أن وجوب طلب القدرة على الماء كوجوب طلبه، وهو شائع عند كل أحد حتى الصبيان، والباء في قوله فاسأل به بمعنى عن نحو فاسأل خبيرا أي: عنه، والكتاب كرمان موضع تعليم الصبيان عند الجوهري، وعليه قول الشاعر:

عجبا لدهر قد أتى بعجائب ومحى فنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي منهم لردتهم إلى الكتاب

أي: المكتب، قاله في فتح القدوس[156]، ثم إن صاحب القاموس مع تغليطه للجوهري أتى بما يوهم موافقته له حيث قال في مادة نشر: التاشير كتابة الغلمان الكتاب، ولست أدره فيه من خلافي يعني أن طلب القدرة على الماء متفق عليه.

27 وَسِيلَةَ الوَاجِبِ مِثْلُ الوَاجِبِ وكَمْ لَهُ مِنْ قَائِدٍ وَحَاجِبِ

وقال في التنقيح القرافي: "وسيلة الواجب مثل الواجب يعني أن القرافي في كتابه المسمى بالتنقيح وغيره من أهل الأصول[157]، قالوا:

---

156 المقصود كتاب فتح القدوس في شرح خطبه القاموس اسم المؤلف: أحمد بن عبد العزيز الهلالي.

157 مثل المعتمد لأبي الحسين البصري؛ 300/1؛ التلخيص للجويني 296/1؛ المستصفى 57؛ الموافقات للشاطبي 424/3.

"إن كلما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"، وهي قاعدة كثيرة تشتمل على فروع كثيرة منها:

طلب عين الماء لكل صلاة، ومنها الاستبراء لأن حفظ الأنساب واجب، ولا يؤمن من اختلاطها إلا بذلك، ومنها تعلم ما يصح به فرض العين من العلم، فهو فرض عين كذلك لأن أداء الفرض على الوجه الذي شرع به واجب، ولا يتم لك إلا بالعلم، ومنها الاستناد إلى المشايخ والتلاميذ عليهم؛ لأن تزكية النفس واجبة إجماعا، ولا يتم لك إلا بصحبة شيخ ناصح عارف مرب، ومنها هذا الفرع الذي الكلام فيه من وجوب طلب القدرة على الماء وغير ذلك مما لا يحصر من الفروع.

قوله: وكم له من قائد وحاجب استعارة لقوة هذا القول وكثرة موافقيه ومعضديه؛ لأن كثرة القائل والحجبة دليل على منعة السلطان وقوته، ولما كان ما يقدر به على الماء أنواع كثيرة وأهل عدم المبالاة بالديانة يقولون إنه لا يقدر عليه إلا بالدوام على أكل اللحم، والدهن، والتمر، ونحو ذلك بأنه على كثرة ما يطبقه كل أحد من ذلك فقال:

28 قلت وما به علَيْهِ يُقْدَرُ من المُطَاقِ لاَ يُعَدُ يُحْصَرُ
29 فَكَمْ وَكَمْ لِذَاك مِن وَسِيلَه وسبَبٍ موصِلٍ وحِيلَه

ثم أتى بعشرة أنواع من ذلك وأضمر غيرها الأول قوله:

30 إعْدَادُهُ لآَلَةِ التَسْخِينِ وَالإِصْطِلاَء أَثَرُهُ فِي الحِينِ

إعداده لآلة التسخين أي: من الذي يعين على الماء أن يكون المكلف ملازما لصطل أو قدر أو نحوهما مما لا تضره النار، فكلما أراد أن يتطهر سخن الماء بالنار، وذلك أيضا سنة ففي كشف الغمة كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "يتوضأ بالماء السخن على النار "، وفي الإحياء: الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل الله عنه، أما المشمس، فهو مكروه عند الجمهور من جهة الطب، وكان عمر، رضي الله عنه، يقول: لا تتوضؤوا بالماء المشمس، فإنه يورث البرص، وقد روي فيه حديث ضعيف، وقيل: إنما يكره إذا شمس في قطر حار كالحجاز، وأن يكون في إناء من حديد أو نحاس والثاني: قوله:

والاصطلاء أثره في الحين أي: من الأسباب المعينة على الدوام على استعمال الماء مباشرة الأعضاء بالنار والتدفئ بها بعد استعماله في الحين من غير فصل بينهما ليلا تدخل الرياح في مسامه ومنافذه ومراقه مع برد الماء فيتضرر بذلك، الثالث: قوله:

31 كَذَلِكَ التَزْمِيلُ بِاللِبَاسِ وحلق الرَّأسِ وَسُؤَالِ الأَسِ

كذلك التزميل باللباس أي: التغطي به إثر استعمال الماء إن لم يجد النار، وخاصة تغطية الرأس لأن أكثر ضرر الماء والبرد منه، بل من الأسباب المعينة على الماء كثرة اللباس في سائر الأوقات بل هو سنة محكمة فعن أنس كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يلبس ثوبين قطريين.

فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه والقطر نوع من البرود فيه خشونة، وكان صلى رسول يظاهر بين درعين، ويلبس الثياب البيض، والخضر، والسود، والبرود المحبرة، ويأمر بالتجمل باللباس.

ويقول: إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه، وكان يأمر بجعل كم القميص إلى الرسغ، وهو المفصل، ومن المعين على الطهارة تطويل السراويل، والإزار إلى الكعبين أو فوقهما بيسير فإن عدم ذلك مضر بمن يستعمل الماء فقد جربت ذلك مرارا، ووجدته مضرا لا سيما في هذه البلاد المغربية، لدوام البرد عليها في سائر الأزمنة غالبا.

فإياك أن تمنعك من ذلك العوائد الضالة فإن الناس اليوم زين لهم الشيطان ابتداع قصر السراويل حتى تبدو الركب، وصاروا ينكرون على من خالف عنهم، فإن الركبة عورة كما في حديث رواه الشعراني في الميزان لاسيما على أهل الفضل، ففي كشف الغمة كان ذيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الكعب تارة، وفوقه إلى قريب من نصف الساق تارة، وكان يحث على لبس السراويل، والإزار يقول أهل الكتاب، فإنه م لا يتسرولون، ولا يتأزرون، وكان يقول: اتخذوا السراويلات، وحضوا عليها نساءكم إذا خرجن، ولما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ما انسفل من القميص والإزار في النار، قال أبو

بكر، رضي الله عنه: يا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعهده، فقال: لست ممن يفعل ذلك خيلاء هـ.

ومن هذا المعنى لبس العمائم والخفين والمسح عليها بل ذلك سنة ففي كشف الغمة كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: اعتموا تزدادوا حلما، وكان يقول تيجان العرب يعطي العبد بكل كورة يدورها على رأسه وقلنسوة نورا.

وعن ابن مسعود كان رسول الله عليه وسلم يدير العمامة على رأسه، ويغرزها من ورائه، ويرسل لها ذؤابة بين كتفيه، وكان يقول: فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس، وكان، صلى الله عليه وسلم، ينتفع بردائه في الحر الشديد في بعض الأحيان، وكان يقول: تغطية الرأس بالنهار فقه، وبالليل ريبة، وقال عبد الرحمن بن عوف: عممني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مرة فسدلها بين يدي ومن خلفي هـ.

وعن أنس لبس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خفين أسداهما له النجاشي حتى تخرقا، وعن بلال بن رباح رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مسح على ظاهر الخفين، وعلى الخمار يعني العمامة، وذلك في الحضر بالمدينة، وقال المغيرة: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعليه جبة شامية ضيقة الكمين فذهب يحسر يديه فلم

يستطع فأخرج يده من تحت الجبة إخراجا فغسل وجهه ويده ثم مسح بناصيته، ومسح على العمامة، ومسح على الخفين هـ من كشف الغمة.

وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يمسح على رأسه كله، وتارة يجمع بينهما بأن يمسح بعض الرأس، ويكمل على العمامة، قال الشعراني: وذلك باعتبار اختلاف الأزمنة، وشدة البرد، وعدمه، فكل ذلك مشروع في وقت من الأوقات وحال من الأحوال فأخذ مالك وأحمد بالتعميم احتياطا وأخذ أبو حنيفة والشافعي بالتبعيض توسيعا إلا أن أبا حنيفة لا بد عنده من مسح ربع الرأس فأكثر بثلاث أصابع فأكثر، ولم يشترط الشافعي ربعا ولا دونه فيجزئ عنده ما يصدق عليه المسح، ولو شعرة واحدة، ولم يشترط اليد بل يجزئ عنده غيرها، وانفرد أحمد بالمسح على العمامة بشرط أن لا يكون تحت الحنك منها شيء، وإن كانت مدورة لا ذؤابة لها يعني اللثام لم يجز المسح عليها عنده، وروي عنه جواز المسح للمرأة على قناعها المستدير تحت حنكها، وهل يشترط في المسح على العمامة لباسها على الطهارة كالخفين أو لا يشترط؟ روايتان اهـ من الميزان.

الرابع: قوله: وحلق رأس لأن الرأس المحلوق لا يمسك البلل الذي هو سبب الضرر بواسطة الرياح، ولأن الحلق أيضا يقصر مدة المكث في المغسل بخلاف غير المحلوق فلا ينغسل إلا بعد لأي، ولأنه أيضا أنفى للشك، وأبعد من الوعيد، ففي الحديث: من ترك موضع شعرة من

جنابة لم يغسلها فعل به كذا وكذا في النار، فقال علي، كرم الله وجهه فكم ثم عاديت رأسي ثلاثا وكان يجز شعره رضي الله عنه.

حتى كان شيخنا الوالد، رضي الله عنه وأرضاه، يحلق كل يوم الاثنين ثم دام عليه يوم السبت، فسألت جاريته التي كانت تتولى حلقه عن العلة التي نقلته عن يوم الاثنين، فقالت: إنه اطلع على أن من دام حلق رأسه يوم السبت لا يموت وعليه دين.

فقد والله ظهر مصداق ذلك فيه فما ترك دينا ولا قضى عنه درهم مع عظم مؤنه وحمالاته في الأمور العظام، وأيضا حلق الرأس من الفطرة كما في اللباب والذهب الإبريز عند قوله تعالى: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾، الآية، وقال الغزالي: لا بأس بحلق الرأس لمن أراد التنظيف، ولا بأس بتركه لمن يدهن، ويرجل إلا إذا تركه قزعا أي: قطعا، فهو دأب أهل الطهارة، وأرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم، فإنه إذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبسا، قاله في الإحياء قوله: أهل الشطارة أي: أهل الخبث والعبث وقولهم: شطر شطارة، فهو شاطر إذا غلب أهله خبثا، وفي كشف الغمة: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينهى عن حلق بعض الرأس دون بعض، ويقول: احلقوه كله أو ذروه كله، وقيد العلماء النهي بغير الصبيان، وكره بعضهم حلق الرأس لمن لم تكن له عمامة، وهو ضعيف، انظر شروح خليل عند قوله: أو حلق رأسه شبيه، وأما النساء

فيحرم حلق رؤوسهن اتفاقا. الخامس قوله: وسؤال الآسي أي: الطبيب يعني أنه مما يعين على الطهارة سؤال مرة إلا طب، وعن الكيفية التي يتعين على استعمال الماء، ومما يوافق مزاجه من المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمسكن، فإن كان الغالب عليه البلغم، فالأصح له تقليل الشراب مطلقا واستعمال الأطمعة الحارة حسا بالنار، ومعنى كلحم الضأن، والإبل، والأحمر من التمر، والقمح، والدخن، وأنواع الادهان، والمصلحات الحارة كالملح، والبصل، والحرور، وليلبس ما أمكنه من اللباس، والدفء، وليعلل غشيان النساء؛ فإنه يرخي الأعضاء فتداخلها الرياح، ولأنه يوديه إلى تكرار الاغتسال وأما من يغلب عليه الصفراء، فهو على الضد، فالأصح له كل بارد حسا ومعنى، كلحم البقر، والمعز، وأصفر التمر، والذرة، ويتقي الدسم، والملح، ونحو ذلك، وأما من يغلب عليه الدم، فهو أقرب إلى الاعتدال لكن يتقي التكثير من حار رطب كالدهن، ويستعمل كل حامض كالرمان، وأكنات، ونوم القيلولة، وما أمكن من النساء فإن ذلك ينقص عنه الدم، وليكثر الحجامة والفصد أي: شق العروق؛ ففي الحديث احتجموا ليلا يتبغ بكم الدم بكم الدم قال في القاموس: تبغ عليكم الأمر اختلط والدم هاج وكثر، وأما السوداء، فهو ضد الدم فيعالج بضد علاجه ويتقي كل بارد يابس كالقديد، والدقيق، والله أعلم. ثم إياك أن تعتمد على قول غالب أطباء هذا الزمان لقلة الخبرة والمهارة فيه، وعدم الورع فيهم إلا من عصمه الله، وأزيدك بأن ترك الطهارة صار سنة عند علمائهم

فكيف بأطبائهم فلا يرشدونك إلا لتركها والتنفير منها، وإياك أن تقلد في دينك إلا من تقبل شهادته لك بين يدي الملك الجبار يوم القضاء الأكبر فمن قلد منبوذ الشهادة كان أضحوكة ومسخرة لأهل الحشر فإذا ضرب الإمام خاف المؤذن وإياك والسادس.

32 والدُهْنِ وَالتَّنْشِيفُ لِلأَعْضَاءِ وأصْلُهُ فِي الكَيِ لاَ الهَوَاءِ

قوله: والدهن أي: من المعين على الطهارة تدهين الأعضاء ؛ لأنه يسد مسامها ومنافذ حتى لا يجد الماء والرياح منفذا إلى داخل البدن، وأيضا فإن ذلك سنة ففي الحديث كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يكثر التدهين في رأسه ولحيته حتى كان ثوبه ثوب زيان، زيان من حرفته استخراج الزيوت وبيعها، وكان أبو قتادة يدهن لحيته في اليوم مرتين، وكانت له جمة يقول: هذا من إكرامها، وفي الحديث من ادهن، ولم يسم الله ادهن معه ستين شيطانا اهـ من كشف الغمة.

وفي الحديث كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يدهن الشعر ويرجله، ويقول: ادهن غبا أي: يدهن يوما، ويترك يوما، وكان يوصي من كانت له شعرة فليكرمها، وليصنها عن الأوساخ، ودخل عليه يوما رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال، صلى الله عليه وسلم: أما كان لهذا

دهن يسكن به شعره ثم قال: يدخل أحدكم كأنه شيطان، وقد كان صلى الله عليه وسلم يسرح لحيته في اليوم مرتين اهـ من الإحياء.[158]

السابع قوله: والتنشيف للأعضاء أي: مسحها بمنديل ونحوه ليلا يمكث عليه البلل فتصادفه الرياح، وقالت عائشة، رضي الله عنها: كنت أناول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء، وكان إذا لم يجد خرقة مسح وجهه بطرف ثوبه، وكان كثيرا ما ينفض يديه بعد الوضوء، وعن أبي بكر، رضي الله عنه، قال: رأيت لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، خرقة معدة لمسح أعضائه بعد الوضوء، وعن أبي هريرة من توضأ فمسح بثوب نظيف فلا بأس به، ومن لم يفعل، فهو أفضل؛ لأن الوضوء يوزن يوم القيامة مع سائر الأعمال اهـ من كشف الغمة، وأجاز القرافي مسح الأعضاء أثناء الوضوء بأن يكون كلما غسل عضوا مسحه ؛ لأنه تفريق يسير، قاله في الميسر.

الثامن قوله: وغسله في الكن لا الهواء أي: وسط البيت، ويغني عنه فيء شجرة، ونحوها، ولهذا اتخذ السلف الحمامات، وعن ابن عمر،

158 إحياء علوم الدين 147/1 .قال مرتضى الدين الزبيدي "وفي بعض النسخ في كل يوم مرتين لم يرد الحديث بهذا اللفظ ومعناه في حديث أنس المتقدم بذكره عند الترمذي في الشمائل كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلاً كان يسرح لحيته بالمشط ولما كان ظاهره يضاد ما سبق كان يترجل غباً جعله غريباً ولم يرد منه المعنى الاصطلاحي بدليل قوله فيما بعد وفي حديث أغرب منه"

رضي الله عنهما، الحمام من النعيم الذي أحدثتموه، وقال بعضهم: نعم البيت الحمام يطهر البدن، ويذكر النار، وفوائد الحمام كثيرة مذكورة في كتب الطب، وآفاته كذلك أعرضنا عنها خوف التطويل.

33 ومكثه فيه إلى الجفاف مثل العروس حالة الزفاف

التاسع قوله: ومكثه فيه إلى الجفاف أي: تشبيه بالدفء حتى تجف أعضاؤه ليلا تضره الرياح كما تقدم.

قوله: **مثل العروس حالة الزفاف**

تعريض وتهكم بطوالح النساء اللواتي يغتسلن في الأكنان لتحصيل الجناية بما فات أزواجهن، ولا يغتسلن منها إن حصلت للصلاة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، على تغيير الأحكام عما شرعت عليه وتبديل السنة بالبدعة، والزفاف كسحاب وكتاب تزين الزوجة لزوجها وإهداؤها إليه كذلك، العاشر قوله: أي: الناظم:

34 ولتوقد النار بجوف المنزل ومن ورائها الطِرَافَ أَنْزِلِ

الطراف ككتاب بنت من آدم، وإنما نص عليه؛ لأنه الغالب عند أهل هذه البلاد يعني أن من المعين على الطهارة لمن لا حمام له أن يوقد النار في جوف بيته ويرخي الستر من وارئها إن كان بدويا، وإلا غلق الأبواب.

35 وراقب الحر بالاغتسال ولتأخذن النحو في الاحتيال

والحادي عشر قوله: وارتقب الحر بالاغتسال يعني أن من لم يكن قويا جدا على استعمال الماء إذا أجنب ليلا مثلا فليترك الاغتسال، وليتيمم للصبح، وينتظر حر النهار بالاغتسال، وهكذا إذا أجنب آخر النهار، وكان اليوم باردا يؤخر إلى الغد، وكذا كل من يضعف عن ملازمة الماء بالليل وأوقات البرد، فلا يتوضأ إلا للظهر والعصر مثلا؛ فإن ذلك أعون له، فلا يزال كذلك حتى يقدر على ملازمته في كل وقت، فإن لازمه أولا حين كان ضعيفا فقد يمرض مرضا شديدا يعجز به عن الكل، وهذا لمن قدر على بعض الصاع في زكاة الفطر، وعجز عن البعض يجب عليه أداء ما وجد وسقط عنه الباقي، وكمن عجز عن القيام في الصلاة صلى جالسا ؛ لأنه إن عجز عن البعض سقط عنه الكل، وإن خف معذورا انتقل للأعلى ثم نبه الناظم على أن الأسباب التي تعين على الماء لا تنحصر في الذي عده فقال:

وشح ذا النحو في الاحتيال فمن الاسباب المعينة جدا على دوام الطهارة تقليل الشراب مطلقا، وأن لا يعيش باللبن وحده إن أمكن، وليحذر جهده من شراب الماء، وأحرى على الريق فإذا اضطر إليه غيره بما أمكن، ولو بدقيق أو خبز أو نحو ذلك، ولو قل، ولا يشربه ليلا البتة، والحكمة في ذلك أن الماء لا قوة له تمسكه في المعدة حتى ينهضم ويتغير عن حاله بل تشربه العروق واللحم قبل وصوله المعدة، فمنه تحدث أمراض البرد غالبا من شقيقة ونوازل وسعلة وذات

الجنب، وذلك لأن آدم خلق من تراب والتراب مصاص للماء؛ فكما أن الأرض إذا دام عليها الماء فسدت وأنتنت ولم تنبت، فكذلك ابن آدم إذا امتلأت بواطنه ماء ضعفت ظواهره عن احتماله، وأما الماء المغير وأنواع المائعات، فلا تشربه العروق حتى تهضمه المعدة بعض الهضم، كما لا تسارع الأرض إلى مصه، وأما الأطعمة الجامدة فلا تذوقها العروق إلا بعد مدة طويلة وهضم وصلاح فيثور لبانها كهيئة الرغوة، وهو الذي يسمى الكليوس في واصطلاح الأطباء فينتقل إلى الكبد، ويبقى عكار الطعام في المعدة، وهو الفضلات فينزل ما فيه من الرطوبة الفاسدة إلى الكلى والمشاة فيخرج بولا أو غيره فتلقيه المعدة إلى سائر الأمعاء حتى يخرج كذلك غائطا ثم إن الكبد يهضم ذلك اللباب المسمى بالكليوس هضما ثانيا فينقسم على مقار الطبائع الأربع فتتحول كل رطوبة باردة إلى الرئة فتكون بلغما، وينتقل ما فيه من الحرارة اليابسة إلى المرارة فتكون صفراء، وينتقل ما فيه من اليبوسة الباردة إلى الطحال فتكون سوداء، ويبقى ما فيه من الحرارة الرطبة في الكبد فتكون دما فتسقي كل مادة قسطها من العروق فينم الجسم، وتتضاعف القوة بحسب صحة الطعام، وجودته، وبالعكس، وكلما كان الطعام أصح وأجود، كان أقل فضلات، وكل هذا تقدير العليم الحكيم، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ومن أسباب القدرة على الماء ترك أكل غير الجيد من الطعام كالخبز واللبن الفاسدين ومطبوخ اللحم البارد جدا إلا صفراوي، وكذا ترك أكل لحم المهزول من كل حيوان، وكذا ترك

كثرة الأكل مطلقا كأن يتغدى مرتين ويتعشى كذلك، وقد جاء في الخبر أن ذلك إسراف إن الله لا يحب المسرفين، وكذا يترك تعدي الحد في الشبع، ولو في طعام واحد، فإن ذلك كله من أسباب الأمراض ففي الحديث أصل كل داء البرد والبردة أي: التخمة، وفيه إدخال الطعام على الطعام قبل الهضم يقتل السباع البرية، ومن ذلك التحفظ من النوم في الهواء في اليل بلا سقف، فقد نهى عنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد شاهدت مضرته للبدن جدا لا سيما في البلاد الوبية وفساد الأهوية كأكثر البلاد القبلية في غالب الأزمنة، ولأن الوباء قد ينزل كالنداء فمن وجده ذلك تحت سقف سلم منه، وإن أصابه بعضه كان أخف مما يصيب غيره ممن كان نائما بلا سقف، وكذلك يتقي الجلوس في الشمس، فإنه يبلي الثوب، وينتن الرائحة، ويثير الداء الدفين، وقد رأيت في بعض كتب الطب أن النوم في الشمس ينقص العقل ففي الحديث: إياكم والجلوس والنوم في الشمس في الدماغ، فكلما ذاب الدماغ ينقص العقل بقدر ذلك، ومن ذلك كثرة ذكر الله، عز وجل، سرا وجهرا؛ لأنه إن دام عليه سرى سره إلى سره حتى يمازج لحمه ودمه، فتحدث له حرارة باطنية ترد سلطان برودة الماء، وقد يتطلسم جسمه تطلسم الصخرة الصماء فلا يضره شيء، ولأن الاستغفار والتوبة مما يزيد القوة قال، تعالى، حكاية عن هود: ﴿ويقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾، وذلك أنه ورد أن الشيطان يجري من ابن آدام مجرى الدم، وجاء أنه واضع خطمه

على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي التقم قلبه؛ فكلما كثرت الذنوب والغفلة على ابن آدم اتسعت مجاري الشيطان فيه، واستولى على بدنه وقلبه أشد، فإذا دام العبد على الذكر والاستغفار والتوبة انمحقت آثار الذنوب وضاقت مجاري الشيطان، ويحترق بنورانية الذكر، ويخرج هاربا فينسد دونه الجسد، وينضم عنه القلب فيكون بيت الرب، ويدخل في إضافته بشاهد قوله: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فلا محالة يقوى على الطهارة، وعلى سائر الطاعات ؛ لأنه صار لله بالله في الله، ومن ذلك كثرة الطيب ؛ لأنه تحبه الملائكة وتحضره فتهرب الشياطين التي هي سبب أمراض القلب ووساويسه في الطهارة حتى يخيل إليه أنه مريض، وهو في نفس الأمر صحيح، ولأن مرض القلب سبب مرض سائر البدن ففي الحديث أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا، وهي القلب، ولهذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحب الطيب، ويحث عليه، ويأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته ويقول: أطيب طيبكم المسك وقالت عائشة، رضي الله عنها: كنت أغلف رأس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالغالية، وكان يضمخ شعره بالطيب حتى يظن أنه مخضوب، وكان، صلى الله عليه وسلم، يتطيب تارة ببخور العود وتارة بالمسك والعنبر والكافور، وكان يقول: من عرض عليه طيب أو ريحان فلا يرده، فإنه خفيف الحمل طيب الرائحة، وطيب الرجال ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي

ريحه، وكان يقول: من سنن المرسلين الحياء، والحلم، والحجامة، والسواك، والتعطر، وكثرة الأزواج اهـ من كشف الغمة.

ومما أنعم به علينا ربنا، عز وجل، أن أعطانا أن طريقتنا من الأسباب المعينة على الماء فلا يدخلها أحد إلا وأقدره الله عليه تفضلا منه ومنا لا باستحقاق منا ولا سبب لنا في ذلك إلا الهمة النافذة والأذكار النافعة، فلا أرى الدخول في طريقنا والانخراط في سلكها إلا واجبا على عامة المؤمنين من تلك الحيثية، ولو لم يقصد الداخل إصلاح قلبه بل لو لم يقصد إلا القدرة على الطهارة المائية حصل له ذلك بحول الله وقوته، واعلم أني قلت هذا مع علمي أنه ينكر ويسخر به ويظن بعض الظانين ظن السوء إن قصدنا بذكر هذا محبة تتلمذ الناس وكثرة الاتباع، لا، وكلا وبالله وتالله، ما قلته إلا تحدثا بالنعم وخوفا من كتم ينفع بعض المؤمنين في دينه، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وقل الحق ولو على نفسك، واقتداء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحدث أصحابه ببعض ما خصه الله، عز وجل، به تقوية ليقينهم وترغيبا لغيرهم مع علمه أن المنافقين ينكرون ذلك، ويسخرون منه سخر الله منهم ولهم عذاب أليم، فكان يقول: أنا سيد ولد آدم أجمعين ولا فخر، قوله: ولا فخر، رد به على ما قد يقع في قلب من لم يقو إيمانه أن مراده الفخر، فلما نفاه تبين أن مراده تبيين الحق حيث كان، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: فضلت على

الأنبياء بست: أتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت للناس كافة، وختم بي النبيؤون، فلو لم يكن ذلك محمودا لما سنه لنا الشارع، صلى الله عليه وسلم، ومن هذا المعنى أخذ العلماء أنه يندب على العالم تشهير علمه إذا خلصت النية لله، انظر شروح خليل عند قوله: وندب ليشهر علمه، ومن الذي حملني على الإقرار بهذا أنه كرامة، وأول من يجب عليه التصديق بالكرامة صاحبها الذي ظهرت على يديه كما أن المعجزة أول من يؤمن بها، ويعلم أنها من عند الله صاحبها الذي أتى بها، انظر أواخر الدرر واليواقيت للشعراني، وإنما قلت إنه كرامة مع عدم استحقاقي لها، ولم أنسبها إلى الاستدراج وتلبيس اللعين؛ لأن التدريج لا يكون إلا في أمور الدنيا، وهذه الخاصة أعني القدرة على الماء إنما هي من أمور الآخرة؛ لأنها معينة على دين الله، عز وجل، وإحياء سنة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، ولأن التصريح بمثل هذا من الصدقة العامة النفع لاسيما في هذا الدهر الذي اندرست فيه الديانات لا سيما الطهارة حتى صارت بدعة مهجورة بعد أن كانت سنة مذكورة، وقد تواتر لي العدول أنهم يعرفون بعض علماء هذا الزمان قد علاه الشيب بل الهرم، وهو لم يتوضأ قط، ولم يغتسل، بل ينكرون على من يرونه يتطهر، وينسبونه إلى الجهل والفسق.

وقد أخبرني مريدنا ابياه بن عبد الله بن محم جل الحبيني أنه بينما هو يتوضأ من أضاة بصحراء لا أنيس بها فلم يذعره إلا الاسترجاع من بعض من ينسب إلى العلم يقول له: إنا لله وإنا إليه راجعون، دخلت في طريقة فلان وأتباعه، يعنينا، فقال: وما دلك على ذلك؟ فقال رأيتك تتوضأ، ولا يتوضأ في هذه البلاد غيرهم لجهلهم.

وقد أخبرني أفراد من تلامذتنا أنه وقع له مثل هذه القصة مع كثير ممن يدعي العلم في هذه البلاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلو كان البكاء يفيد في هذا شيئا لبكينا على موت سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهذا خلاف ما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصدر السلف الصالحين، فلم يرو عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه تيمم إلا مرتين إحداهما حين نزلت آية التيمم، وهم على غير ماء، والثانية: تعليم لبعض من لم يحضر نزول آية التيمم، ولم يرو عن الصحابة، ولا عن التابعين أنهم صلت منهم جماعة كلها صلاة واحدة بالتيمم فضلا عن صلوات؛ فبان أن غالب الناس اليوم على بدعة وضلالة.

36 فَالعَجْزُ عَنْهُ قَبْلَ مَا إِنْ يُخْتَبَرْ بِهذِهِ الأَسْبَابِ غَيْرُ مُعْتَبَرْ

يعني أن من ادعى العجز عن الماء قبل اختباره مرة بعد مرة مما أمكنه من الأسباب المتقدمة فعجزه غير معتبر شرعا ي إباحة رخصة

التيمم بل إن تيمم بذلك أعاد كما يعيد المقصر في طلب الماء أبدا عند ابن حبيب، وأما من لم يطلبه أصلا أعاد أبدا اتفاقا، قاله في الميسر.

37 وترك الاغتسال وسط الكِّنِ كما هو الشائِعُ خَوْفَ الجِنِ
38 عَيْنُ الضَلالِ بَلْ مِنَ الخِذْلاَنِ وَلَعِبِ الشَيْطَانِ بِالإِنْسَانِ

يعني أن الشيطان يخيل إلي العوام أن مواضع الطهارة تسكنها الجان، وإنما خذلهم الشيطان بذلك تخيلا منه لتركهم الطهارة حدوث الأمراض باستعمال الماء في الهواء، وقد يمنعهم خوف حصولها من القدوم على الطهارة أصلا والمنقول من الدين خلاف ما عليه اعتقاد هؤلاء فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتجاذبون أثر وضوئه، صلى الله عليه وسلم، يتبركون به، وفي الحديث: إذا توضأ المؤمن تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض، وأيضا فلو سلمنا أن ذلك مسكون لأمكن الاحتيال له، أما أن يسمى إليه، عز وجل، على موضع طهارته فلا يقربه جان ولا شيطان، ففي الحديث بسم الله الرحمن الرحيم ستر بينكم وبين إخوانكم الجن، وأما أن يجمع ثرى اغتساله فيرميه إلى خارج بيته كما يفعل بالرماد ونحوه، فما أعظم ضحكة الشيطان من مثل هؤلاء، وما أشد خذلانه لهم، والخذلان بالكسر ترك النصرة والمبالغة في الضلال.

39 إذْ كَيْفَ تَرْكُ وَاجِبٍ مُتَفَقُ عَلَيْهِ دُونَ ضَرَرٍ مُحَقَقُ
40 لكنما الهوى القلوب عما وَالجهْلُ قَدْ عَمَ الوَرَى فَأعْمَى

إذ لا يجوز ترك واجب محقق الوجوب، وهو الأسباب المعينة على الطهارة كالاغتسال وسط الكن إلا إذا حقق ضرره أو ظن ظنا قويا، وأما تخييل الشيطان، فهو لغو ليس من الدين بشيء إلا أن الهوى عم على قلوب أهل الزمان وعمهم الجهل فأعماهم، وذهب بأبصارهم؛ لأن حقائق الأشياء إنما تدرك بعين البصيرة لا بالباصرة فقد قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، وقال: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾، وقال: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾، وفي الحديث: أن الهوى أبغض إله عبد في الأرض، وفيه فساد أمتي في عالم فاسق وعابد جاهل.

41 فالكِنُ مِنْ نِعْمَتِهِ وَمِنَتِه وَسَبَبٍ مُوَصِلٍ لِقُرْبَتِه

42 فَمَا جَوَابَك إذَا مَا تَسْأل فِي الحشْرِ عَنْ نَعِيمِه فتَخْجَلُ

يعني أن الأكنان من نعم الله، عز وجل، وشكر النعمة إنما هو صرفها في طاعة الله، فأولى ما تشكر به نعمة البيوت أن تجعل معينة على شرط أفضل القرب وعماد الدين، وهي الصلاة بأن يغتسل، ويتوضأ فيهما، وقوله: فما جوابك إذا إلخ توبيخ لهذا الموسوس وتفريع له إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ أي: ما يتلذذ به في الدنيا من الصحة، والفراغ، والأمن، والمطعم، والمشرب، والمسكن، ونحو هذا، فيقال له يوم القيامة: فيم استعملت نعمة كذا وكذا؟

فإذا أجاب عن ذلك سئل عن نوع آخر، فإن كان ضيعه في الدنيا بأن استعمله في غير طاعة الله لم يجد جوابا فيعلوه الخجل ويصفر وجهه وترتعد شفتاه، ولا شك أن منعه تخييل بخوف أن يغتسل في بيته يلحقه حينئذ امتد الخجل والفزع لتيقنه أنه يلقى في النار ويخلد فيها إن لم تدركه الشفاعة إن مات على الإيمان، والخجل انكسار وذل يحدث للإنسان من معرة محققة تبينت له في ملأ ثم نبه الناظم أنه لو كان سكون الجن موضع الطهارة محققا فقد يمكن مسكنه فقال:

43 نَعَمْ إِذَا عَلِمْتَ ثَمَّ الجِنّا فَخَارِجًا عَنْ بَيْتِكَ اسْتَكِنّا

يعني أنك يأيها الموسوس إذا تيقنت جهلا منك أن ثم أي: هناك موضع غسلك سكون الجن فاتخذ بيتا للغسل خارج بيتك للحمام، وإن تجده من الطين والحجر أو الصوف والشعر فلا يعوزك وجدان الحشيش والشجر، فاصنعه منه وذلك قوله:

44 فليس حاجرٌ علَى الثَمام والْمَرْخِ مَانِعَ مِنَ الحَمَّامِ

وثمام كغراب نبت معروف، وقيل إنه ام ركبه بالحسانية، وأما المرخ، فهو شجر يقرب من صفته التي وصف بها تيتارك بالحسانية، وليس هو بعينه.

مسألة: سئل ابن هلال عمن إذا غسل رأسه أصابته نوازل وهبوطات في صدره ورأسه، فأجاب بأن حكمه أن يمسح عليه مباشرة إن لم يضره، وإلا مسح على العمامة كما يفعل بالجرح، وقال صاحب

المدخل: بل يغسله لكن بعد أن تيمم غسل سائر جسده، ثم يجعل عليه العمامة في الحين، ثم إذا أراد أن يغتسل ثانيا مسح على العمامة مسح الخفين حتى يصح ثم لا يغتسل إلا في الكن لأن المرض قد يكون من الرياح، وفساد الهواء، وقد يكون من الماء، فإذا اغتسل في كن وطرأ له مرض علم أنه من الماء فيتضح له الأمر، وقد أفتى ابن رشد بالتيمم في هذه المسألة، واستبعد المحققون جوابه وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

45 وابْنُ هِلاَلٍ فَي النّوَازِلِ سُئِلْ عَمَنْ إذَا غَسَلَ رَأَسَهُ فَعِلْ
46 بِهِ كَذا فَقَالَ مسحُه الصَوَابْ واسْتَبْعَدُوا فَتْوى بنِ رُشْدٍ بِالتُرَابْ
47 وصاحب المدخل بل يغتَسل في الكِنِ والرَأسَ أخِيراً يغْسِلُ
48 ثم يَرُدُ لُبْسَهُ وليمْسَحِ مِنْ بَعْدِ ذَا عَلَيْهِ إن لَمْ يَمْصَحِ

بالبناء للمجهول من مصح الله عنا المرض أذهبه حكاية روي أن المبرد عاده أبو صالح في مرض فقال: مسح الله عنك ما بك، فقال المبرد: إنما هي بالصاد فقال: السين تخلف الصاد، فقال له المبرد أنت إذا أبو سالح لوح له بالسلاح كغراب، وهو رقة ما يخرج من البطن يقال ناقة سالح، إذا أسلحت من أكل البقل، وقوله: ألم في آخر البيت فعل بمعنى نزل حذفت إحدى ميميه للوقف وبينه وبين ألم بمعنى الوجع الجناس اللفظي، ولما كان المرض قد يكون من الماء، وقد يكون من الهواء، قال الناظم.

49 قُلْتُ وَلاَبُدَ إذاً لِلْمَاءِ مِنِ اخْتِبَارٍ فِي سِوَى الهَوَاءِ
50 بَلْ كل فَصْلٌ أَوْ يَدُومُ المَرَضُ انظر إلى وَ وَاجِلَ المُعْتَرِضُ

إشارة إلى قول خليل: وأجل المعترض[159] سنة لتمر عليه الفصول الأربعة لأن الدواء قد ينفع في بعضها دون بعض، بل قد يبرء دون دواء إذا أتى عليه فصل مضاد لفيئته التي هاجت فيه حتى نشأ عنها المرض.

فالفصول أربعة كالطبائع، وكل واحد يقابل طبيعة فالصفراء للصيف، والخريف للدم، والشتاء للبلغم، والربيع للسوداء، فيجب على من به مرض أن يختبر الماء في أسابيع كل فصل مرة بعد مرة، فإن من كان مرضه من البلغم مثلا فإذا انقطع عنه الشتاء اختبر الماء في أسابيع الربيع، فإن قدر عليه فذلك، وإلا اختبره بأسابيع الصيف، فلا بد أن يقدر عليه غالبا لأن الصيف صفراوي، فهو مضاد للبلغم، فإذا لم يقدر عليه في الصيف علم أنه ليس من البلغم فلعله من السوداء فينتظر به الخريف ؛ لأنه دموي مضاد للسوداء، وهكذا، وأو في قوله: أو يدم المرض بمعنى حتى.

159 مختصر خليل مختصر العلامة خليل: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: 776هـ) المحقق: أحمد جاد الناشر: دار الحديث/ القاهرة الطبعة: الأولى، 1426هـ/2005 مـعدد الأجزاء: 1ص 103.

فائدة: نقل أبو الحسن شارح المدونة عن ابن رشد أن الشيطان هو الذي يخيل إلى بعض الموسوسين أنهم مرضى، وأنهم إن تيمموا بهذا التخييل أول وهلة قبل التثبت والتحقق أعاد أبدا ؛ لأنه ليس بعاجز بل هو كسل لأن الشرع لم يبح لهم ترك الطهارة بل شدد فيه حتى إن من لم يقدر على غسل جميع جسده فالمشروع له مسح الجزء المريض وغسل غيره فإن لم يرخص لمن به جراحات ظاهرة في ترك الطهارة أصلا فأحرى صحيح إلا من تخيل الشيطان ففي الحديث أن للوضوء شيطانا يقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء، وكانت الصحابة، رضوان الله عنهم، يقولون: أول ما يبدأ الوسواس من جهة الماء في الوضوء هـ من كشف الغمة، وإلى نقل أبي الحسن أشار الناظم بقوله.

51 والمغربي شارح المدونة وهو أبو الحسن بما دونه
52 عن حافظ المذهب في النوازل إن اللعين هو نفس الهازل
53 بزاعم السقم بالاغتسال وهو صحيح بدن في الحال
54 وإنه حتما يعيد أبدا إذا تَيمم لها بادي بدا
55 إذ ليس هذا عاجز بل كسل لو يمسح البعض وبعضا يغسل

وفي القاموس بادئ بدء كفلس وكتف أول كل شيء[160]، ثم قال الناظم:

56 قلت وللبعض هنا بيتان قد جملا في موضع البيان

160 القاموس المحيط باب الهمزة فصل الباء.

57 ولم يجز لأحد وعممِ في الحوض مطلق سوى التيمم
58 ضرر ماء صح بالتجريب في خبر العالم والطبيب

قيل إن قائلهما ابن الحاج احماه اللل الغلاوي[161]، وأظن أنهما ليسا له لأن ذلك مشتهر بالعلم، وما نظم في البيتين ركيك باطل لا يصح أن يقوله ذو علم.

---

161 عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي: 1209هـ: اختصار مختصر خليل (المعمول به في البلاد وما صوبه الشراح) – أرجوزة في النحو – الاستعانة (مقدمة في النحو للمبتدئين) – الباكورة المفيدة لطالب الندب أو الفريضة (= نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني، 1786 بيتا) – تأليف في اللغة (ضخم) – تأليف في الزكاة – تأليف في القراءات السبع – تأليف في جامع الإيمان – تأليف في ما وافق الرسالة من نص خليل (يتخذ نص الرسالة متنا ويضع تحته نص خليل كالشرح وإذا أفتى بمسألة فيه يتمثل بقول الشاعر *وإنكار مع العدلين عار*) – تحريم تعليق الناشز – تخريج مسائل بالنصب والإضافة – التعليق اللطيف على نظم الأخضري – تعليق على البخاري – تعليق على الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع – تعليق على الشواهد – تقرير المنة شرح إضاءة الدجنة (= تنوير الأجنة شرح إضاءة الدجنة) – الحوار (= الفصيل نظم الخزرجية) – دفع الضرر في تحريم الطرر (يخص في ذلك الإكثار والمراء) – ذخر المعاد على بانت سعاد – الرباني (في الإعراب محاذيا الألفية) – شرح الألفية – شرح التثبيت ليلة المبيت للإمام السيوطي – شرح تحفة الحكام لابن عاصم – شرح حائية الشيخ سيدي عبد الله (ابن رازقة) بن محم بن القاضي العلوي (1144هـ في مدح مولاي محمد بن مولاي إسماعيل (مطلعها * دع العيس والبيداء تذرعها شطحا * وسِمْها بحور الآل تسبحها سبحا) – شرح البسملة –شرح الخزرجية – شرح الدرر اللوامع في مقرإ الإمام نافع لابن بري – شرح الرباني – شرح صغير على بانت سعاد – شرح على اليوسية (مطلعها * عرج بمنعرج الهضاب الورد بيـن اللصاب وبين ذات الأرمد) – شرح فائية الشيخ سيدي

عبد الله (ابن رازقة) بن محم بن القاضي العلوي (1144هـ في مدح نعل الرسول صلى الله عليه وسلم (مطلعها * غرامٌ سقَى قَلْبِي مدامَتَه صِرْفا * ولَمَّا يُقِمْ للعذْل عَذْلا ولا صَرْفا) – شرح الكافية – شرح كبير على بانت سعاد – شرح لامية العرب – شرح مرثية الشيخ سيدي عبد الله (ابن رازقة) بن محم بن القاضي لأحمد بن يوسف بن الفاضل أكدمهم الشقروي مطلعها * هوَ الأجَل الموقوفُ لا يتخلَّفُ * وليس يردُّ الفائتَ المتأسفُ) – شرح مقامات اليوسية – شرح منظومة المباحث في التصوف لابن البناء – شرح نزهة المغاني لعلمي البيان والمَعاني (وهي من خمس مئة بيت في نظم تلخيص المفتاح للقزويني) للشيخ سيدي عبد الله (ابن رازقة) بن محم بن القاضي العلوي (1144هـ – شرح السيدية للشيخ سيدي عبد الله (ابن رازقه) بن محم العلوي –شرح نظم أصول ابن عاصم – شرح نظم رسالة أبي زيد القيرواني– شرح نظم اختصار الدرر اللوامع في مقرإ الإمام نافع لابن بري على ما به الأخذ – شرح نظم نقاية السيوطي في الأصول –شرح نوازل الشيوخ الأربعة (محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدرعي الفاسي (1166هـ) والطالب محمد بن الطالب مختار بن الأعمش العلوي (1107هـ) والشريف محمد نالله (حمى الله) بن أحمد بن الإمام أحمد التيشيتي (1169هـ) وسيدي عبد الله (ابن رازكه) بن محمد بن القاضي (1144هـ)) – قصد السبيل (نظم) – منظومة في المديح (ضمن كل بيتمنها شطرا من الألفية) – نظم (جمع فيه كثيرا من أحكام المغني) – نظم الأعاريض والضروب – نظم النقاية في البيان – نظم بيوع ابن جماعة – نظم سلسلة نسبه –نظم صغير في المسلسلات – النظم الظريف لنوازل حمى الله الشريف –نظم في اختصار الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع لابن بري على ما به الأخذ – نظم في إعراب منصوبات القرآن – نظم في التوحيد (أحد عشر بيتا) – نظم في الحذف (مئة بيت) – نظم في الرخص – نظم في الردة – نظم في المتشابه من القرآن الكريم – نظم في المنطق – نظم في النحو (في بحر الرمل) – نظم في رد مقالات محمدن (المجيدري) بن حبيب الله (حب الله) اليعقوبي – نظم القواعد الخمس – نظم مختصر الأخضري في العبادات – نظم نقاية السيوطي في الأصول – نظم ورقات إمام الحرمين –

والحوض اسم جبل مستدير على هيئة حوض النخل بجانبه القبلي تكانت، والغربي تيشيت، وجانبه المقابل للقبلي النعمه، والشرقي سك، فكل جانب منه إن وقف عليه وافق تراءت له جوانبه كلها على هيئة الجفنة العظيمة.

وقد شاهدت ذلك بكدية، ولاته، وتكانت، وأما غير ذلك من جوانبه، فلم أقف عليه لكن أخبرني الثقات أنه كذلك: وعرضه من تيشيت إلى سيك أربعون يوما أو أكثر، وطوله من تكانت إلى النعم نحو شهر، وهو أكثر بلاد الله سكانا فجانبه الشرقي للسواد أي: من الحبشة أي: بنبار، والفلانيين وماسنن، واستونك، وأهل فوتة، وكل واحد منهم أقاليم ومدن عظام وقصور كثيرة، وجانبه الغربي لقبائل الزوايا والعربان والأعراب من أهل البوادي والمدن وسكان الجبال.

قوله: قد أجملا إلخ يعني أن الإجمال في موضع التفصيل، والإبهام في موضع البيان، وإطلاق في موضع التقييد، والتعميم في موضع التخصيص مما يعده أهل البيان من مقبحات الكلام ؛ لأنه خلاف المقتضى، ويعده أهل الأصول مما يخل بالحكم يوجب نبذ اللفظ من أصله، وإسقاط الفائدة منه لأن قابلهما لم يبن، ولم يقيد، ولم يخصص، ولم يفصل ما حقه التبيين والتقييد والتخصيص والتفصيل فعمم وجوب التيمم في جميع أماكن الحواضر على جميع أهله في جميع الأحوال والأزمنة بل حقه أن يقول: من كان في بلد كذا، وفي فصل كذا

وموصوفا بكذا أو متغذيا بكذا رخص له في التيمم ما دام كذلك لأن هذا الوجه الذي قال القائل خرق للإجماع وتقولٌ على الشارع ثم وجهه الناظم بثلاث توجيهات الأولى قوله:

59 لعله لفقد لاحتيال أوطافحٍ يخوض بحر الآل

لعله لفقد الاحتيال يعني، ولعل هذا الشخص فاقد الأسباب المتقدمة التي تعين على الطهارة فحكم للناس لحكم نفسه، أو جاهل لوجوبها، وظن تعذرها في الحوض الثانية، أو طافح يخوض بحر الحال يعني، ولعل هذا الشخص من أهل الطفح، وعدم الورع الذين لا يبالون بما قالوا، ومن أهل الشطح الذين تتعاطاهم الأحوال فلا يعتد بكلامهن؛ لأنه ربما كان ردة الثالثة.

60 أو بعد بذله الجهاد فيه كما يدل قوله عليه

أي: ولعله تكلم على مجرد حكم نفسه بعد أن بذل مجهوده وطاقته في طلب القدرة على الماء فعجز عنها، ويدل على ذلك قوله ضرر ماء إلخ.

ومما يدل على خطأ هذا المخطئ وكذبه أنه كيف تحصل أحوال كل فرد من أجناس سكان الحوض من السودان والبيضان عند شخص فعلم بأن كل واحد منهم جرب الماء سنة أو أكثر حتى غلبه، وأخبره بضره له طبيب ورع ماهر بالطب يعرف السائل ومولده وأبويه ومولدهما وسنهما وغذاءهما حين ولداه وطبائع الولد والوالدين.

لأن مزاج الولد يختلف باختلاف ذلك فكيف يصور أن الشخص حصل هوا له حتى يحكم على كل فرد من سكان الحوض أنه لا يجوز له إلا التيمم، ومعلوم أيضا أن الطبائع تختلف اختلاف الألسنة، والألوان، والأطمعة، والبلدان، والأسنان، ومعلوم أن أهل الحواضر مختلفة ألسنتهم، ففيهم السوادين، وغيرهم، وألوانها كذلك، وأطعمتهم كذلك فبعضهم يتغذى بالسمك وحده وبعضهم بأنواع الحيوانات، وبعضهم بأنواع اللبن، وبعضهم بلحم الوحوش خاصة، وبعضهم بالتمر، كالقبيلة التي يقال لها انماد، وهم قوم لا مكسب لهم إلا الكلاب يتصيدون بها، ولا مسكن لهم إلا الكهوف في الجبال، وأيضا مما تختلف به الطبائع اختلاف البلدان بالصحة والسقم فبعضهم ساكن بشاطئ البحر، وبعضهم بأرض كثيرة المياه طويلة الأشجار، وبعضهم بالصحاري والجبال، فمن قاس بعض هؤلاء على بعض فقياسه باطل؛ لأنه قياس مع وجود الفارق، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

61 هيهات يحكم لكل الخلق بالاستواء مع ظهور الفرق
622 شفاء بعضهم لبعض داء وداؤه لبعضهم شفاء

وذلك أن دواء الكبير كالمسهل وغذاؤه الجم إذا استعمل الرضيع هلك أو كاد وكذا من لم يتعود إلا أكل السمك أو الزرع إذا شرب لبن الإبل أضر به، وكذا من هاج به الصفراء يعالج بكل بارد رطب فإذا عولج بعلاج البلغم من حر يابس هلك أو كاد ثم كذلك فكيف يظن من له أدنى إدراك صدق ما ادعاه هذا المدعي، ومما يكذب دعواه أمران:

أحدهما: أن معاصريه من العلماء أنكروا عليه هذا أشد إنكار حتى رجع عن التعميم، ونظم نظما يقول فيه: إن مراده بالخوض؛ لأنها أعظم مدنه كما يقال: الحج عرفة أي: معظمه إلى أن قال: الماء في ولات لا يحل به الوضوء، وكذاك الغسل تم انتدب له الشيخ محمد الأمين مسموع الكلمة مطاع الأمر في الحوض لوفور علمه وانتشار صيته، فهو واضع التلخيص على الرسالة وشرحا آخر على خليل، وقد كان يضرب به المثل في تقواه، وورعه، وزهده، وكثرة بكائه من خشية الله، عز وجل، وقد أدرك شيخنا الوالد آخر عمره.

قلت: وقد كذب هذا الشخص أيضا فيما في ولاتة فقد دخلها أربع مرات في الدهر، وكل واحدة منهن أمكث فيها نحو عشر ليال، ولم أتمم فيها قط، ولا أصابتني فيها الحمى، ولا غيرها، بحمد الله.

وقد شاهدت أهل الدين من أهلها فلا يرون الطهارة الأمر الثاني مما يكذب هذا المدعي أن الحوض هو مسقط رأسي، وأول أرض مس جلدي ترابها، وقد نشأت به حتى أدركت الرجال، وجلت جولانا في جوانبه، ولم أتيمم فيه إلا نادرا وسائر أهلي كذلك ومساكنهم منه في وسطه مواضع يقال الرك، وخاصة موضعين منه أحدهما عين الفتح فقد مكثوا عندها أربع عشرة سنة لم يتحولوا عنها قط الثاني محمود، وهي أضاة كبيرة مسيرة يوم طولا، ونصف يوم عرضا لا تغور كالبحر، وفيها السمك، ولو كانت السفن هناك لأمكن سيرهن فيها فمن

ذو عقلت نحن عندها لا تتحول عنها في فصل من الفصول حتى سرت عنهم، وتركتهم عندها، ولم أشاهد أحدا من إقليمنا تيمم إلا نادرا مع كثرتهم ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

ثم إن أقصى الحوض مما يلي تكانت هو اركيبة، وقد أتيتها وأكثر تنواجيو، فإذا هم أهل طهارة جدا، ولا خلاف بينهم في صحة ما بها ثم آوكار مما يلي تيشيت، وهو رمال معطشة مسيرة ثمانية أيام لا ماء بها إلا بير واحدة تسمى وطفن، فما كان كذلك لا شك في صحة مياهه لقلتها وبين تيشيت، وولات عشرة أيام ثم الباطن مما يلي ولات والنعم وبينهما يوم ونصف يوم، ولا شك في صحة مائها لأني جربته بنفسي، وتعهدت ذاك الموضع سنة أو سنتين ثم كوش مما يلي جانبه الشرقي مما يلي أرض السودان، وقد أتيته مرار مسافرا فما وجدت للماء به ضررا.

وقد نزلت به بيوتنا مرة لأجل أن أهل تكانت جميعا من أهل سيد محمود، وإديدوعيش، وأولاد الناصر تحزبوا على حرب الحوض أولاد امبارك، وغيرهم، فلما جاؤوا صائلين لذلك تشمرت لهم عرب الحوض عن ساعد الشر ففزعت قبائل الزوايا من لكلاكمه، وتنواجيو، وتافيلالت، وانتاكيد، وآل الطالب صالح، ولكوانين، والطلابه، وتجمعوا على شيخنا ليؤمنهم من جائحة الجيوش، فلما رد الله الأحزاب بغيظهم ولم ينالوا خيرا، وانقلبوا خاسئين، ببركة شيخنا ليلا يضام جان.

فتجمعت رؤساء تلك القبائل على شيخنا، وقالوا إنه لا يؤمنهم إلى مأمنهم، وديارهم إلا رحيله معهم هو وحلته ليلا تأكلهم بنو حسان، فرحلنا معهم نحو عشرين مرحلة حتى دخلنا بهم أرض كوش، وأقمنا بها مدة حتى أمن الزوايا، واطمأنوا وتفرقوا في ديارهم ثم انقلبنا، بحمد الله، إلى أوطاننا من الركولييارق، فما رأيت أحدا من إقليمنا تيمم مدة إقامتنا بكوش إلا نادرا، وشاهدت أهل الدين من تلك القبائل في مساجدهم كذلك، والله حسبي فيما أقول.

وأعلم أن شيخنا الوالد، رضي الله عنه، ولد بالحوض ونشأ به المعرب، وعاش سبعا وسبعين سنة، وهو لم يتيمم قط حتى توفي به، وهو على طهارة توضأ للعصر، وصلى به المغرب والعشاء ثم توفي، رحمه الله، بعيدها على طهارة ليلة الجمعة عاشر المحرم أي: عاشوراء عند موضع يقال له: اديياد سنة ست وثمانين ومائتين وألف من الهجرة النبوية، وقد أرخت لذلك ببيتين فيهما الجناس التام قلت:

وشيخنا لما استضاء وشرف اشتاق لقيا ربه بو شرف
ووزع العلوم والبطل وزع تاريخنا لعمره برمز زع

قلت أيضا:

يا نعمها بلدة اديياد من وطن يا ليتني قاطن هناك أزمان
بها الولي الذي فاقت بدايته نهاية الناس من عرب وسودان

ثم إن سلمنا أن الماء مضر في سائر الحوض، وإن ما قاله ذلك القائل حق، فكيف يمكن الاستدلال بحكم أهل الحوض على حكم أهل القبلة،؟ أو قياس أحوال هؤلاء على أولئك ؟

لأن القبلة والحوض بينهما مسيرة نحو ثلاثة أشهر أو أقل بقليل، وبينهما سبعة أرضين، وكل أرض لها حكمٌ ومعنًى يخصها من صحة وعدمها، وكيف تقاس أرض أكثر أهلها يموت بالغرق في البحر على أرض يموت أهلها غالبا بالعطش؟ فهذا قياس مع وجود الفارق، فمن غره هذان البيتان في دينه، فهو المغرور الجهول.

خاتمة: أذكر فيها اشتقاق أسماء مدن الحوض، وأصل بنائها تنبيها على قدرة الله، تعالى، وتنويها بفضل أوليائه.

فأما تيشيت فأصل بدء أمره أن وليا من أولياء الله سوداني ما سني مكفوف البصر حج بيت الله الحرام، وسأل الله، عز وجل، بعد الاستخارة أن يعينه على بناء قرية تكون زيادة في الإسلام وفي مدن أهله، فأجاب الله دعوته، وقيل له صفة قريتك كذا ورائحة تربتها أي: التي تبني فيها كذا فأمر تلامذته أن لا يمر ببلدة في مرجعهم إلا، وأخذوا له قبضة من ترابه.

فكان كلما أتوه بتربة يشمها يقول: ما هي التي شئت، حتى طال عليهم الأمر وظنوه على غير بصيرة فاختبروه يوما فأعطوه تربة قد أعطوها له أمس، فلما شمها قال لهم: لعلكم ضللتم أو ارتبطت

رؤوسكم، هذه تربة مقيلنا أمس فتعجبوا من صدق وعده، ونفوذ بصيرته، فلما بلغوا موضعا آخر ناولوه منه قبضة، فلما شمها قال: هي التي شيت، فكان اشتقاق تيشيت من ذلك اللفظ.

وأما ولاتة فاشتقاقها من الولي أتى؛ لأنها كانت سدة وبيئة كثيرة الحيات وغيرها من المكاره والمهلكات، حتى بات في فنائها ولي من أولياء الله برفقته، فأنذره أهلها أنه إن بات هناك تناهبته الأسود والأساود هو ورفقته ودوابهم بضميمة ما يصيبهم من وباء الهواء، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فبات هناك، فلما أصبح بخير الصباح غدوا عليه يقبلون رأسه ورجليه ويهنئونه، فصرف الله عنهم تلك المكاره كلها من بركة ذلك الولي، فتعلقوا به ورادوه بالسكنى معهم، فقبل حتى توفي بها فبنوا عليه قبة آجر حسناء جدا، ولقد زرته فيها مرارا، ولله الحمد.

ودخلتُ عليه داخلها وجلست عند رأسه ورجليه، وكانوا يمنعون زواره من الدخول عليه غالبا.

قلت: وهذه الكرامة التي أكرم بها هذا الولي أعني تسخير الأساويد والأسود والسلامة من شرها وعدائها، قد أكرمنا الله بها، وله الحمد، تفضلا منه ومنا كما هو ظاهر للأصدقاء وللأعداء، إلا أن أهل أرضنا من تعنتهم نسبوا ذلك إلى السحر، والله حسبنا ونعم الوكيل، وهو حسبهم.

ثم ولاتة مدينة عظيمة أهلها أهل إنكار على الأولياء، فقلَّما سلَّموا لولي قط، وقد خبرني من نقل عن الشيخ سيد المختار أنها بنيت على الكفر، وستعود إليه؛ ثم لما ظهر شيخنا الوالد أذعن له أهل ولاتة بأجمعهم، وسلموا له، وأقروا بفضله، وكانوا يعدون ذلك من كراماته العظيمة، وأخبرني بعض علمائها أنها بنيت سنة ستمائة من الهجرة.

وأما النعمة فهي قرية صغيرة لا تجاوز مائة دار بنيت سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف بنا فالشريف الولي الحاج بيت الله مولاي إسماعيل وقد أدركت آخر عمره وأنا صبي يأتي من قريته معصبا جفونه من الكبر يزور شيخنا الوالد ويقول: إن أهل النعم أصلهم من أهل ولات أخرجوهم منها لأجل شر وقع بينهم.

وأما محمودة فكانت تسمى فنج بمعنى الفناء جاء لأنها كانت وبية جدا لا ينزل بها حي من الأحياء إلا وفني أكثره حتى نزلها شيخنا فرفع الله عنهما ذلك فأرسل الله إليه باب أحمد بن الشيخ سيد المختار أنه رأى الملائكة تسد ثقبا من السماء كان يصب عليها الوباء وأن أهل الملأ الأعلى سموها محمودة فأمر شيخنا أن تسمى بذلك الاسم، فنسخ عنها اسم فنج بقدرة الله السميع العليم فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء.

وإنما أطلنا النفي في هذا، وإن أدى إلى التطويل، لأن في ضمنه ذكر كرامات الأولياء، وذكر كرامات الأولياء ذكر لمعجزات الأنبياء؛ لأنها من ثمرتها، وذكر المعجزات ذكر لله، عز وجل، قال:

وعلقة حاصلة بتابع كعلقة بنفس الاسم الواقع

ثم بأجود تركيب وأسلس عبارة وأقوى دليل انتهى.

ـــــــــ انتهى كاشف الأستار عن وجه رموز سلم الإظهار على يد كاتبه لشيخه محمد الحسن بن أحمد الخديم، محمد عبد الله بن عبد، رحمه الله، عام 1397 من هجرة محمد، صلى الله عليه وسلم، بمساعدة غيره.

وقد بقي على الشارح شرح الأبيات التالية:

يا معشر الكهول والشبان بأي ما قلت تكذبان؟
لا تعجبوا من منكر قد أنكرا علي فالمعروف صار منكرا
وطلب الحق اغتراب لا يرى طالبه إلا غريبا في الورى
بدء الإسلام غريبا شاهد عدل رضى عليكم فجاهدوا
وذا زمان الشوك التي بكى لها النبي هادي الملة
من ضيَّعَ الصلاة دون معذرة عشرة أيام بخمس عشرة
يبلى بستة لدى الحياة ثم ثلاثة لدى الممات
ثم ثلاثة له في قبره ثلاثة ببعثه وحشره
من وجهه تمحى عقايا شيم الصلحا ومن دعاهم يحرم
يبغضه في الله كل خلقه خلقه يمنع من توفيقه ورزقه
وليس خارجا من ذي الدار حتى يرى مقعده في النار
يكسى لدى الممات ثوب الذلة والجوع والعطش شر غلة
يُضمُ قبرُهُ عليه جداَ في ظلمة ووحشة وشدا
عليه ثعبانان ياكلان حتى إذا فَنِيَ حيَّ الفانِ
وهكذا لبعثه مرعوبا بحزن وذلة مكروبا
يجر وجهه لوجه الأرض يناقش الحساب فوق الأرض
في وجهه قد كتبت أسطار ثلاثة حاصلها الوبارُ
فأين ذا ممن أتى بهانة له من الله دخول الجنة
إني لقد أسمعت لو ناديتُ حيا ولكن الهوى يُميت
لا تسمع الصم ولو من أمم والصب عن عذاله في صمم
كم ساق من ذلك ما قد أذهبا نوم الأريب رغبا ورهبا
بل قد سرى عن وسنان وسن حتى غدت ختام نطقه الحسن

هذه الأبيات لم يتعرض الشيخ سعد أبيه لشرحها، ولعل الشبب ذلك أنها ليست إلا نظما لحديث أخرجه أبوداود في سننه، وهو عن الحسن البصر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن كان أتمها هون عليه الحساب وإن كان قد انتقص

منها شيئا قال الله لملائكته هل لعبدي تطوع فأكملوا له ما نقص من فريضته، ثم الزكاة، ثم الأعمال على حسب ذلك.

"من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله خمس خصال: رفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ، وأعطي كتابه بيمينه ، ومر على الصراط كالبرق الخاطف ، وأدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون في الصلاة في الجماعة عاقبه الله باثني عشر عقوبة: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الآخرة، وثلاثة عند الموت، وثلاثة عند القب، فأما التي في الدنيا ، فترفع البركة من رزقه، وتنزع سمات الصالحين من وجهه، ويكون مبغوضاً عند الناس، وأما التي في الآخرة فيشدد حسابه، ويغضب عليه الرب جل جلاله، ويعاقب بعذاب النار، وأما التي عند الموت فتقبض روحه عطشانا وجائعاً، ويشتد نزعه، وأما التي في القبر: فسؤال منكر ونكير، وظلمة القبر، وضيقه . وقد روي عن أبي ذر مثل هذا. "